

29
روايات مصرية للجيب
فانتازيا
الوطواط
Looloo
www.dvd4arab.com
د. أحمد خالد توفيق
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مقــدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًّا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًّا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًّا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًّا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جميعًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

1 ـ الأمر كذلك ..

فى هذه المرة اعترف ..

ليس لأنها ضيقت عليه الخناق ، وهى تضيق عليه الخناق من فترة .. لكن لأنه سئم هذه اللعبة .. ربما هو لم يتحمل دور التلميذ المطارد الخائف ..

قال لها فى عصبية فى ذلك اليوم :

ـ « نعم .. هناك واحدة وأنا أحبها .. ! »

نظرت له صامتة ولم تجد ما تقول .. هذه هى اللحظة التى كانت تخشاها ، وبرغم هذا تتعقبها فى إصرار .. هل هى لذة ماسوشية مريضة تلك التى تغرينا بالتعذب ؟ أم هى الرغبة فى الانتهاء سريعًا من هذه المهزلة ؟ أم هو بصيص أمل خافت فى أن تكون مخطئة ؟

كأنما ألقى قنبلته واستراح ، بدأ يهدأ قليلاً وصدره يعلو ويهبط ..

قالت له :

ـ « (رانية راشد) ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « منذ متى ! »

ـ « منذ أقل من عام ؟ »

ـ « والسبب ؟ »

ـ « الحب يأتى دون سبب .. »

ثم غطى وجهه وقال وحاجبه الوحيد المكشوف يرتجف :

ـ « حاولت ألا يحدث هذا .. حاولت كثيرًا .. لكن الأمر كان أقوى منى .. كأن اسمينا دونهما الفراعنة على إحدى المسلات من فجر التاريخ .. كأن نرتين فى جسد واحد قد تقابلتا وعرفت كل منهما الأخرى .. »

سألته بذات الصوت الهادى :

ـ « تحبها كثيرًا .. »

ـ « جدًا .. »

ـ « وهل تستمتع بقول هذا لى ؟ »

ـ « أنا لا أستمتع ولا أحزن .. أنا أقرر حقائق .. »

ـ « وهى ! »

ـ « لا تريد خراب بيتى .. هذا هو العائق الوحيد ، لكنها لو قبلت فسأتزوجها فى اللحظة ذاتها .. »

كان هذا كافيًا ، وأسوأ من كل شىء رأته فى كوابيسها .. إنه لم يغير الكلمات أو يخفف منها قليلاً ، ولم يستبق شيئًا لنفسه .. كل شىء واضح وصريح و(على عينك يا تاجر) كما يقولون ..

والغريب أنها كانت تصغى لهذا كله بهدوء تام وتحضر ، وكأن الحديث يدور حول غداء الغد .. هل هو من الفاصوليا أم من الكوسة ..

قالت له بنفس الهدوء وهى تربت على ظهر الطفلة التى من حسن حظها أنها لا تسمع هذا :

ـ « هل ينقصك شىء معى ؟ »

ـ « لا .. وهذا هو ما يجعل الأمر صعبًا .. وبسبب هذا الصراع أصبت بنوبتى القلبية .. أو هذا ما أعتقده .. »

ـ « والأخرى .. هل هى تفهمك تمامًا ؟ »

ـ « كأنها أنا ! »

ـ « وما هى خطتك ؟ »

فكر حينًا وهو يحك ذقنه .. ثم قال لها محاولاً انتقاء كلماته :

ـ « أنا لا أتكلم عن علاقة .. أنا أتكلم عن زواجٍ .. ولو فكرت فى الأمر لوجدت أننى لا أطلب شيئًا مشينًا .. هناك رجال تزوجوا اثنتين وثلاثًا .. بعبارة أخرى أنا لا أريد خداع أحد .. وأريد أن تباركى زواجى هذا .. »

ـ « أباركه ؟ »

ـ « لم لا ؟ سأظل أنا أنا .. »

ـ «ستكون نصف قلب ونصف عقل ونصف جسد ..»

ضحك فى عصبية ، وقال :

ـ « من الخطأ التعامل مع الإنسان باعتباره قابلاً للقسمة .. سأكون معك مائة فى المائة وسأكون معها مائة فى المائة كذلك .. لايوجد نصف إنسان لو أردت رأيى إلا فى مشرحة قصر العينى .. »

صمتت قليلاً ثم قالت :

ـ « هبنى قلت إنه حل مرفوض ، وإننى أرغب فى الطلاق .. »

نظر إلى أظفار يده وقال :

ـ « لا أحب هذا ولا أحب أن أفقدك .. لكن لو أصررت على هذا فالأمر من شأنك أنت .. Up to You »

بارد كبلب الثلاجة .. بارد كلوح الثلج عند عم (عطيه) الذى يرفض أن يشترى ثلاجة مياه غازية كهربائية ..

إنه لا يمزح ، والمحادثة كلها واضحة كالشمس .. وهو يتحدث عن الطلاق كأنه يتحدث عن التخلص من سويتر قديم وقعت عليه بقعة من الزيت ..

هذا الرجل لم يحبها قط ..

لقد كان (صفوت) محقًا حين تكلم عن عقدة (بجماليون) .. لقد كان اختراع (دى ــ جى) هو الذى جعله يلقاها ، وهو الذى جعله يعجب بها ، وقد افتتن بها حين وجدها الدليل الحى على أن اختراعه ناجح .. هكذا فعل (بجماليون) الذى صنع تمثالاً لـ (فينوس) ثم هام به حبًا إلى درجة البكاء ..

فيما بعد لم يعد لـ (دى ــ جى) فائدة ما ، واتضح أنه اختراع لا يمكن أن تفيد منه إلا فتاة واحدة هى (عبير) فتاة واسعة الخيال قرأت كل شىء فى العالم وقع تحت يديها ، لكن تفكيرها ضحل وغير خلاق ..

وهكذا قل اهتمام (شريف) بالجهاز .. وبالتالى قل اهتمامه بها ..

ثم تلاشى ..

قالت له فى صرامة :

ـ « غدًا أذهب لقضاء أيام عند أمى .. »

والسبب هو أن الليل كان قد انتصف ..

* * *

قالت لها أمها عندما توغل الظلام وتعالت أصوات الكلاب فى الحارة تتشاجر لسبب ما ..

ـ « أخطأت إذ تركت بيتك للأخرى .. أنت لا تتركين بيتك وإنما يتركه هو .. »

ثم وضعت كوب الشاى أمامها ، والطفلة تتعلق بها مصدرة مناغاة غريبة ..

لم تكن (عبير) رائقة المزاج لهذه الأمور الاقتصادية .. كل شىء مرهون بدراسات الجدوى وحساب الربح والخسارة .. هى لا تبالى إن فقدت زوجها أن تفقد شقتها كذلك أو أن تتسول فى الطرقات .. لا شىء من هذا يهم ، ويدهشها أنه يهم الآخرين إلى هذا الحد ..

ـ « غدًا صباحًا يأتى أخوك ويجد حلاً لهذه المعضلة .. »

ـ وكانت تعرف أن (شريف) لن يأتى .. ولن يعض أصابعه ندمًا ..

لو ظلت هنا ستظل هنا إلى الأبد ..

أخلدت الصغيرة العزيزة إلى النوم ، فحشرتها (عبير) جوار الجدار المشقق الرطب ، فى فراشها القديم الذى لم ينس أحلامها وهى بعد لم تتزوج .. أيام العودة من المدرسة والتهام الكتب و ...

رأت رف المكتبة التى صنعتها لنفسها قديمًا ، والمكونة من ثلاثة ألواح من الخشب تتصل بقطع من السلك ، وقد تم تثبيتها إلى الجدار بمسامير معوجة ..

هذا الرف المثير للشفقة كان يحمل - وما زال - إبداعات عباقرة العالم .. وكان أعز جزء فى الدار بالنسبة لها .. لقد تركت خلفها صانع الأحلام ، والذى كان هو مفتاح (فانتازيا) ، ولن تعرف ما خسرته إلا فيما بعد ، حين تتطلع روحها إلى الحلم فلا تجد إليه سبيلاً ..

تنهدت .. هل كانت (فانتازيا) تستحق أن تحيا مع زوج يحب واحدة أخرى ؟

بالنسبة لفتاة غيرها فالسؤال غير مطروح أصلاً ، لكن بالنسبة لها لم تكن تعرف الإجابة ..

الكرامة أم الحلم ؟ الكرامة طبعًا .. لكن الحلم عزيز وجميل كذلك .. كانت تحب (شريف) لكنها لم تكن على استعداد لأن تشعر بحنين إليه الآن .. لقد آذاها كثيرًا ..

لكن ماذا جنته (فانتزيا) ؟

ومدت يدها تلتقط إحدى المجلات من على الرف ، وكانت مجلة لبنانية قديمة من مجلات (الوطواط) المصورة .. مطبوعات شركة (دى سى كوميكس) التى احتكرتها إحدى الشركات اللبنانية قديمًا .. مجلة عتيقة متهالكة الأوراق وعلى غلافها الممزق ظهر (الوطواط) بزيه المميز ، وهو يوجه لكمة عاتية لرجل فارع أخضر الشعر اسمه هو (مضحك) .. وكان هناك أثر خاتم يشوه الغلاف يقول : (ممدوح - صاروخ الروايات) .. هذا هو توقيع البائع على مجلاته كأنه هو المؤلف ..

راحت تجوب المجلة ، وهى تسمع من الشارع عواء قطط تتصارع على شىء ما .. وبالطبع لم تنس شيئًا من القصة المصورة كعادتها .. إنها تذكر التفاصيل كأنها قرأتها أمس .. لشد ما أحبت هذا العالم الخيالى المتشابك ، ولشد ما حلمت به ..

ولا تدرى متى نامت ..

فجأة لم تعد هنا ..

صارت هناك ..

* * *

JSA - 2 ..

كانت واقفة هناك فى (فانتازيا) . بالتأكيد (فانتازيا) وليست أى مكان آخر ..

كان (المرشد) بعينه ينتظرها هناك ، وهو يضغط على مؤخرة قلمه البغيض ، لكنها شعرت برضا بالغ إذ رأته واحتشدت أسئلة فى ذهنها ..

- « نعم .. أنت فى (فانتازيا) .. لامجال للخطأ .. »

قالها ليختصر الطريق عليها ، ثم أردف وهو يمد كفه لتمسك بها :

- « من أين ترين أن نبدأ ؟ »

صاحت فى حيرة ، وهى تنزع يدها من يده :

- « لحظة ! كيف تكون هناك (فانتازيا) من دون ....؟»

- « من دون جهاز ؟ لامشكلة هنالك يا (أليس) ..

لقد تعلم عقلك كيف يخلق عالم (فانتازيا) بنفسه .. لم تعودى بحاجة إلى جهاز يعلمك الحلم .. لقد صرت تستطيعين الحلم بنفسك ! »

نظرت حولها فى انبهار .. فى عدم تصديق .. وسألته :

- « معنى هذا أننى لن أحتاج إلى الكمبيوتر ثانية ؟ »

مط شفته السفلى فى حسرة ، وهز رأسه نفيًا :

- « للأسف لا .. الحلم لايزورنا حين نريد .. الحلم يزورنا حين يريد هو .. بينما هناك كان من السهل عليك أن تضعى الخوذة وتضغطى زر الإدخال ، وتغمضى عينيك .. هنا لا .. سيكون عليك الانتظار حتى يتعطف الحلم عليك ! »

قالت فى لهفة وهى تنظر إلى شوارع خيالها الفسيحة :

- « حقًا كنت فى أمس الحاجة إلى بعض الوقت هنا .. »

- « عقلك الباطن عرف هذا وقدم لك هذه الخدمة .. أنت تعرفين أن (فرويد) يعتبر الحلم وسيلة لإخراج

العادم .. عادم الضغوط النفسية التى تحتشد فينا طيلة اليوم .. ليس من العسير فهم لماذا تحلمين الآن .. »

هزت رأسها وقررت أن تستمتع بهذه الرحلة أيما استمتاع .. من يدرى ؟ ربما كانت الأخيرة .. ربما عجزت عن ابتكار حلم آخر .. لو كان عقلنا الباطن يطيعنا ..

الآن تركب القطار الصغير المضحك وجوارها (المرشد) ..

سألها وهو يسند ذقنه على كفيه :

- « الأحوال سيئة فى الخارج .. هه ؟ »

- « سيئة جدًا .. يمكنك القول إنها (زفت) وأرجو أن تسامحنى على ألفاظى .. »

- « هل تعتقدين أن (شريف) .... »

- « كفى ! »

قالتها فى حزم ، ثم أردفت :

- « منذ متى تجسر على الخوض فى أمورى الخاصة؟ على قدر ما أفهم فأنت مجرد مرءوس لى وأنا لا أطيق أن يكلمنى مرءوس فى أمور شخصية .. »

الحق أنه كان سمجًا ، لكن (المرشد) بارد وعملى وليس من الطراز الذى يخجل من نفسه أو يشعر بالحرج ..

يمكن القول إن أذنه لم تحمرّ لحظة ..

فقط هز رأسه ، ونظر من النافذة ، ثم قال لها :

- « هذا المكان لا بأس به .. ما رأيك ؟ »

قالت فى ضيق :

- « جميل جدًا .. دعنا نجربه .. »

- « هل يناسبك هذا الطراز من القصص ؟ »

- « وهل تركت لى فرصة كى أرى ما ترينه أنت من النافذة ؟ »

تنبه ، فتراجع فى مقعده قليلاً ، ليتيح لها أن تميل برأسها عليه وتنظر من النافذة فى اهتمام ..

كان الظلام الدامس يغلف مدينة غريبة .. مدينة تشبه عوالم الكوابيس بمبانيها الشاهقة القوطية ، والغيوم تصطرع فى سمائها مدلهمة كابية تنذر بالويل ، فلو كانت (عبير) تفهم فى التصوير لذكرها المشهد بلوحات (الجريكو) الرهيبة ..

وعبر السماء انطلق ضوء ما .. انطلق من فوق سطح أحد المبانى الشاهقة ، وسقط على السحب فى السماء فانعكست صورة ..

كانت الصورة تمثل وطواطًا يفرد جناحيه ..

قالت له وقد فهمت :

- « هذا عالم الوطواط ، وهذه (جوتام سيتى) أو (جرجر) كما تسميها المجلات اللبنانية .. »

- نعم .. إن رجال الشرطة أضاءوا الشارة التى تستدعى الوطواط .. »

- « لن يتأخر .. »

هز رأسه فى ثقة وقال :

- « بل لن يأتى على الإطلاق وهذه هى المشكلة .. إن حياة بلا (سوبرمان) ولا (الوطواط) ولا حتى (البرق) هى - بالنسبة لمطبوعات (دى سى كوميكس) - حياة أقرب للجحيم .. »

قالت له فى شىء من حماسة :

- « ليكن .. سأجرب هذا العالم .. »

شد الحبل ليتوقف القطار ، ثم نزل وساعدها كى تترجل بدورها .. وإذ نزلت وجدت أنها فى شارع معاصر صاخب أمريكى غالبًا ، وأدركت أنها ترتدى ثيابًا مختلفة ..

إنها رشيقة فارعة القوام خفيفة كالقط .. ثيابها تشبه الجلد الأسود ، وفى قدميها حذاءان عاليا الكعب ، كما أن شيئًا يضايق تنفسها .. هذا قناع على رأسها .. تحسسته فوجدته ينسلب إلى أعلى على شكل أذنين طويلتين مدببتين ..

هتفت فى انبهار :

- « سأكون أنا الوطواط إذن ؟ »

- « بل الفتاة الوطواطة . إنها تشبه الوطواط فى كل شىء لكنها أنثى .. »

ثم أشار إلى مبنى عبر الشارع ، وقال لها مشيرًا لساعته :

- « لقد تأخرت عن اجتماع الـ JSA .. »

فى جزع قالت وهى تتعثر بسبب الكعبين ناطحى السحاب :

- « آسفة .. أقسم لك إننى لم أتعمد التأخير .. ولكن ما هذا الـ JSA الذى تأخرت عنه ؟ »

- « رابطة العدل الأمريكية Justice Society of America .. إن مقرها (نيويورك) لو كنت تعرفين ما أعنيه .. والآن هيا ! لا تتوانى فى إقناعهم ! »

- « بأى شىء ؟ »

- « بأن يعطوا (الوطواط) فرصة أخرى ! »

* * *

إن (رابطة العدل الأمريكية) هى البوتقة التى قامت فيها (دى سى كوميكس) بجمع كل أبطالها المقنعين .. يعرف كل من قرأ مطبوعات هذه الشركة أن لديها مخزونًا هائلاً من الأبطال المقنعين ، الذين يلبسون حُللاً خاصة ، ولهم شخصيات سرية لايعرفها أحد ، وحينما تكفهر الأمور يتسلل الواحد منهم إلى أقرب زقاق ليتحول إلى شخصيته الأخرى التى يمكنها تغيير الحقائق ..

بعد (سوبرمان) و(الوطواط) حدث نوع من التكاثر السرطانى لهذه الشخصيات ، وبدا أن كل مواطن فى الولايات المتحدة يلبس تحت ثيابه ثيابًا سرية ما .. وكان لابد من ضمها جميعًا تحت لواء واحد هو ما أطلق عليه (رابطة العدل الأمريكية) .. طبعًا أمريكية لأن كل هذه المطبوعات أمريكية جدًا ، ورابطة العدل هذه تضاف إلى الترسانة النووية والأسطول ومشاة البحرية ، لأن كل أفرادها ينتمون للبشرية نعم ، لكنهم أمريكيو الولاء ..

لم يكن (سوبرمان) و(الوطواط) و(المرأة العجيبة) قط أعضاء فى رابطة العدل .. لو خطر لك هذا فأنت مخطئ .. لكن الشركة تنازلت أخيرًا وقررت أن هؤلاء جديرون بالانضمام ..

الآن يمكنك أن ترى (عبير) - التى تحولت إلى الفتاة الوطواطة - وهى تجتاز مدخل البناية .. يوجد مصعد صغير يقلها إلى الطابق السادس ..

هناك رجال أمن وأجهزة كاشفة عن المتفجرات وشاشات مراقبة .. يستوقفها أحد رجال الأمن ، ويمد يده لقناعها قائلاً :

- « معذرة سيدتى .. لكن لابد لنا من التحقق من ... »

وهنا يطير فى الهواء بحركة (جيدو) بارعة ، قبل أن يصطدم بالجدار المقابل ويهوى على الأرض ، وهو ما زال يكمل جملته :

- « شخصيتك !! »



هنا ـ كما هو واضح ـ تلعب القوة الدور الوحيد المعترف به .. كل شىء يمشى بالعنف ..

هنــا ـ كمـا هو واضـح ـ تلعب القوة الدور الوحيد المعترف به .. كل شىء يمشى بالعنف .. هذا بدأ يـروق لها على ما يبدو .. إن (الوطواطـة) رشيقة جميلة، لكن قوتها لاتصدق، ومن غير المستحب المزاح معها بأى شكل ..

قالت لبقايا هذا الأحمق :

ـ « لا أحد ينزع قناع الوطواطة أبدًا !! »

ثم تقف أمام الباب العملاق الذى يحمل شـعار (رابطـة العدل) .. ينفتـح إلكترونيًّا منزلقًـا لأعلـى بطريقـة سينمائية جدًا، لـترى القاعـة الواسـعة .. يمكنـك أن تـرى تلـك المنضـدة الطويلـة الشـبيهة بمناضد اجتماعات مجالس الإدارة .. وعلى جانبيهـا يجلس أعضاء الرابطة .. وأمام كل منهم زجاجة من العصير والمياه المعدنية وحزمة أوراق ..

لو لم تكن ملمًّا بهذا المكان، فلسوف تشعر بـأنك ترى أغرب مجموعة من المخـابيل فى تـاريخ العالم فى مكان واحد .. هـذا حفـل تنكرى بالتأكيد .. أقنعة

فى منتهى الغرابة وثياب أغرب .. وبعض النماذج فى حجم قبضة اليد ، وبعضها متضخم العضلات كالكابوس .. توجد حسناء ويوجد رجل شفاف يمكنك أن ترى من خلاله المقعد الذى يجلس عليه ، وكلهم ينظرون لها فى اهتمام وترقب ..

يمكننى أن أقدمهم لك بالترتيب :

إنهم من اليمين لليسار ، ومع حفظ الألقاب .. الذرة .. الكناريا السوداء .. دكتور قدر .. دكتور منتصف الليل .. الفانوس الأخضر .. البرق .. الصقر .. رجل الساعة .. جونى الرعد .. الإعصار الأزرق .. مستر مدهش .. رجل الرمال .. الطيف .. رجل النجوم .. اليقظة الشرسة .. المرأة العجيبة ..

أسماء غريبة ؟ لاتعتقد هذا .. هناك تقريبًا مجلة مصورة لكل واحد من هؤلاء لها مشترون وقراء ومن يراسلون بريد القراء فيها .. ولاتنس أنك تشترى مجموعة قصصية مصرية بطلتها تدعى (عبير عبد الرحمن) ، والتى لم يسمع عنها أحد ممن يقرءون قصص رابطة العدل هذه ..

قال لها (الفانوس الأخضر) بثيابه الخضراء المميزة ، ولحيته الطويلة الشقراء المشذبة :

- « مرحبًا أيتها الوطواطة .. هل لديك أخبار أفضل ؟ »

قالت فى أسى وهى تضرب كفها اليسرى بقبضتها اليمنى :

- « لا جدوى .. »

لكنها كانت لتغدو أكثر سعادة لو عرفت ما هذا الذى لا جدوى منه بالضبط ..

كان الفانوس الأخضر هو رئيس (رابطة العدل) لهذه الدورة العمومية ، ولم يكن (سوبرمان) موجودًا .. هذا يفسر لك الأمور أكثر .. وقد قال وهو يراجع لائحة كئيبة المنظر أمامه على المنضدة :

- « اللائحة صارمة جداً بالنسبة للعضو غير المنتج .. لابد من محاسبته بقسوة .. والوطواط لم يقدم لنا أية قصة منذ نصف عام .. »

قال (البرق) وهو يتململ فى مكانه :

- « لا فائدة .. لابد من فصل الوطواط .. هذا مؤلم لكنه الحل الوحيد .. »

فى جزع صاحت المرأة العجيبة :

- « ربما فصلنا الوطواط وربما كان هذا سهلاً ، لكن كيف نواجه العالم بعد هذا ، حين يذكر التاريخ أننا نحن من فعلها ؟ »

قالت الوطواطة (عبير) فى تململ :

- « لا أحد يمكنه فصل الوطواط .. إنه كالفنان أو الزعيم الدينى أو الثائر لايمكن إيقافه بقرار .. »

- « لكن تفاصيل العمل النقابى تجعله معرضًا للمساءلة وربما الغرامة لو خرق قوانين (رابطة العدل) .. لم تعد الأمور سائبة كما كانت فى الماضى .. حتى البرغوث يحتاج إلى تصريح نقابى كى يمتص دماء من يريد .. »

نعم .. فرابطة العدل نقابة كأية نقابة أخرى .. ويبدو أن هناك رسوم عضوية وكارنيهات وما إلى ذلك ..

فقط هى - كما قلنا - نقابة تضم كل من يلبسون ثيابًا غريبة ويضعون قناعًا على وجوههم ، ويحاربون الجريمة بشكل منفرد ..

قالت الوطواطة وهى تسدل عباءتها على كتفها الأيسر فى عصبية :

- « كل ما أطلبه هو مهلة من المجلس الموقر .. أحتاج إلى ثلاثة أسابيع .. بعدها يمكنكم فصل الوطواط لو أردتم ، وإن كنت أعتقد أن هذا القرار ليس هينًا ، ولن يقبله الجميع بترحاب .. »

ثم غادرت المكان دون أن تنتظر قرارهم ..

ستكون سعيدة لو فهمت ماذا يدور هنا .. وما المطلوب منها بالضبط ..

* * *

3ـ حديث عن الوطواط ..

فى الطابق الأرضى قابلها (بوب كين) ..

هذا خبر لا يهمنا كثيرًا إلا لو عرفنا أن (بوب كين) هو مبتكر شخصية (الوطواط) .. والخبر الأهم هنا أن (كين) توفى عام ١٩٩٨ .. لكن هذه هى (فانتازيا) على كل حال .. كان عجوزًا أشيب قصير القامة ، وكنا نود أن نقول إنه فى أسوأ حال وبادى الفقر كمبتكر شخصية (سوبرمان) ، لكن الرجل كانت تلوح عليه مخايل النعمة ..

سألها فى لهفة وهو ينظر للوراء خشية أن يسمع أحد ما يقال :

ـ « هيه ! علام اتفقتم ؟ »

ـ « لم نتفق .. أنا قررت أن أمنح نفسى فترة قدرها ثلاثة أسابيع لإقناع الوطواط .. »

قال لها وهو يقتادها إلى مجموعة مقاعد جوار الباب الزجاجى العملاق للبناية :

ـ « الحقيقة هى أن الوطواط فقد القدرة على الاستمرار .. إن بقاءه فى رابطة العدل أمر لا يهم هؤلاء القوم ولا يهمه هو كذالك ! »

ثم أضاف وهو يجلس :

ـ « إن وفاة (روبين) زميل عمره قد جعلته يعتزل العمل ومكافحة الجريمة .. يمكن القول إنه مصاب باكتئاب تفاعُلى حاد ، وهذا النوع من الاكتئاب لا يزول إلا بزوال السبب .. والسبب هنا لا يمكن زواله .. لقد حاولت كثيرًا جدًا .. يعلم اللّه أننى حاولت كثيرًا جدًا .. أحضرت الورق والقلم والفرشاة وجلست .. ناديت (الوطواط) كثيرًا جدًا لكنه لم يلب ندائى أنا صانعه .. أنا والده .. »

ـ « والحل ؟ »

ـ « على قدر علمى لا يوجد حل .. »

وجلست جواره ووضعت ساقًا على ساق ، بينما أراحت ذقنها على قبضتها وسألته :

ـ « ما هى ذكرياتك عن ابنك هذا ؟ »

★ ★ ★

أعرف أن الاستطراد لايناسب الكثيرين منكم .. ولربما طلب منى البعض أن أصمت قليلاً ، لكنى ـ بصراحة ـ أجد أنه من المحزن أن يتكلم صانع شخصية الوطواط فتتجاهل ما يقول ، ثم إن معرفة تاريخ الشخصية وعالمها هو الهدف الأول لهذا الكتيب .. أما ما بقى فيحتمل أن يروق لك أو لا يروق ، وهو فى جميع الأحوال يذهب .. لهذا أرجو أن تتحملونى بضع دقائق أخرى ..

بدا على ملامح (كين) الحنين ، كأنما يتذكر بالفعل ابنه الأول .. كيف مشى .. كيف تكلم .. متى ارتدى السروال الطويل أول مرة .. ومتى خرج إلى الشارع وحده أول مرة ..

قال لها بصوت ناعس حالم :

ـ « ولد الوطواط فى مايو عام ١٩٣٩ فى العدد ٢٧ من مجلة (دتكتيف كوميكس) .. من العسير أن أذكر الآن لماذا ابتكرت شخصية (الوطواط) .. ربما كان السبب هو الأرباح الهائلة التى راحت شخصية (سوبرمان) تدرها على الشركة التى احتكرتها .. للأسف لم يظفر مبتكرًا (سوبرمان) بقسط من هذه الأرباح لأنهما وقعا فريسة عقد احتكار مجحف لايمكن إلا أن نعتبره سرقة ..

« الآن يمكن القول إننى اعتمدت بشدة على ثلاثة مصادر أساسية فى خلق مفردات هذه الشخصية : أولا تأثرت بشخصية (زورو) بعدما رأيت فيلم (علامة زورو) الصامت الشهير .. إن (زورو) هو الفارس المغوار المقنع الذى يعيش حياتين . فى الصباح هو (دون دييجو) الشاب العابث المستهتر ، وفى الليل يتحول إلى (زورو) العظيم بسيفه السريع البتار .. هكذا جاء (الوطواط) فى شخصية (بروس واين) المليونير المستهتر ، الذى ينزل إلى كهفه الرهيب ليتحول إلى الوطواط .. رمز العدل وسيد الظلام ..

« المصدر الثانى فى إلهامى كانت تصميمات (ليوناردو دا فينشى) .. العالم الإيطالى العظيم الذى صمم الهليكوبتر والغواصة والدبابة .. وكانت طائرات (دا فينشى) وسياراته لها أجنحة الوطاويط ، وبالمثل صارت طائرة (الوطواط) تحمل الشكل ذاته ..

« والمصدر الثالث هو فيلم صامت اسمه (الوطواط) .. كان يقدم لصًا يحمل الاسم ذاته .. وكانوا يستدعونه بضوء كشاف عملاق رسم عليه وطواط .. لطالما خفت الوطاويط ، لكنى افتتنت بها دومًا ، وبدا لى أن الوطواط سيخيف المجرمين بالقدر نفسه ..

كان على أن أجد المؤلف .. واتصلت بـ (بيل فنجر) كى يعد لى قصة مثيرة مناسبة .. وقد تحمس الرجل للأمر ، وإن لم ترق له السكتشات الأولى للوطواط لأنه رأى أنه يشبه (سوبرمان) كثيرًا ، وفتحنا قاموس (وبنستر) كى ندرس صورة الوطواط المرسومة فيه .. وبدأنا التعديل .. فصارت للوطواط عباءة تغطى نصف وجهه وعينيه وأذنان طويلتان وقفازان ..

« وأطلق (فينجر) على المدينة اسم (جوتام سيتى) .. وخلق شخصية الخادم (ألفرد) ورئيس البوليس المفتش (جوردون) ..

« فى القصص الأولى كان الوطواط قاسيًا جدًا فى تنفيذ العدالة ، بل إنه كان يحمل مسدسًا ! ولما وجدنا أن الوطواط يشعر بالوحدة قررنا أن نمنحه رفيقًا ، وكان هذا الرفيق هو الفتى العجيب (روبين) الذى يربيه الوطواط ، ويعلمه أساليب مكافحة الجريمة ، وقد ظهر للمرة الأولى عام ١٩٤٠ .. ومن وقتها اكتسب الوطواط طابعًا أكثر هدوءًا وصار أقرب إلى الأب أو الأخ الأكبر ..

« لكن فى هذه الفترة بالذات ظهر طبيب نفسانى شبه مجنون اسمه (فردريك ورتهام) .. شن هذا الرجل أعنف هجوم على شخصية الوطواط .. ونشر كتابًا اسمه (إغواء الأبرياء) عام ١٩٥٤ اتهم فى هذا الكتاب شخصية الوطواط بتهم مشينة لا يمكن ذكرها ، لكنها تستند إلى أنه لا توجد أية شخصيات نسائية فى عالمه .. فقط هو و (روبين) والخادم (ألفرد) ..

وهى محاولة للتذاكى تذكرنا بما حاوله واحد آخر ، زعم أن (واطسون) صديق (شيرلوك هولمز) الصدوق هو امرأة .. وتساءل كيف ولماذا لم يتزوجها (هولمز) ؟!

« كان السبب الثانى لمهاجمة السلسلة هو كثرة ما فيها من عنف وقتل .. والحقيقة أن الرقابة ضايقتنا كثيرًا بسبب هذا الكتاب » .

سألته (عبير) وهى منبهرة بكل هذه المعلومات التى لم تكن لتعرفها إلا من صانع الوطواط نفسه :

ـ « هل أثر هذا المجنون فى الشخصية التى ابتكرتها ؟ »

ـ « إلى حد ما .. لا أنكر أن كلامه أثار قلقنا .. ولهذا ظهرت المرأة الوطواطة فى القصص .. مادام الرجل يرغب فى زيادة الشخصيات النسائية الجذابة ، فلا أقل من أن نحقق له مايريد .. كان اسمها الأصلى (كاتى) وبعدما تقدمت فى السن علمت ابنة أخيها (بيتى)

ـ التى هى أنت ـ كيف تكون الفتاة الوطواطة .. لقد ولدت أنت عام ١٩٦١

« كما أن (الفرد) الخادم لم يعد هناك وجاءت بدلاً منه عمة الوطواط (هارييت) لتقيم عند ابن أخيها ، وهى لاتعرف أنه الوطواط ..

« فى القصص التالية بدأ الوطواط يقابل (سوبرمان) .. وصارا عضوين شرفيين فى رابطة العدل الأمريكية عام ١٩٥٣ .. »

سألته فى خبث :

« تبدو لى فى بحبوحة من العيش .. لست كمؤلف (سوبرمان) .. »

تحسس ربطة عنقه فى مزيج من الفخر والرضا ، وقال :

ـ « لأننى كنت موفقًا من البداية وقمت بتوقيع عقد يسمح لى براتب لا بأس به طيلة حياتى .. كما أنى عملت مع (هوليوود) كثيرًا ، ورواتبهم كما تعرفين هى ثروات صغيرة »

والشيء الذى لم تعرفه (عبير) ولم يقله (كين) طبعًا هو أن رسوم الأخير كانت ضعيفة جدًا .. إنه مبتكر جيد للشخصيات لكنه ينفذها برداءة ، مثله مثل (والت ديزنى) .. ولكن رسامين عظيمى الموهبة رسموا الوطواط فيما بعد ، وأعطوه سحرًا لاينسى .. نذكر منهم (جيرى روبنسون) - الذى اشتقوا من اسمه اسم (روبين) الفتى العجيب - و(ديك سبرانج) و(جاك بيرنلى) و(شلدون ملدوف) و(ستان كاى) ..

* * *

قال لها وعلى وجهه العجوز ترتسم أمارات التوسل والاستعطاف ، تلك التى يجيد الشيوخ رسمها على وجوههم :

- « أنا بمنزلة أبيك .. عدينى أن تعيدى لى الوطواط ثانية .. »

قالت وهى تنهض :

- « سأحاول .. لكنى لا أعد بالكثير .. »

* * *

٤ - كيف مات (روبين) ..

راكبة دراجتها البخارية ، التى تقودها كالشيطان لو كان هذا الأخير يقود دراجات بخارية ، انطلقت (عبير) تدور حول الجبل عند أطراف (جوتام سيتى) ..

كانت تشعر بخفة غير عادية كأنها تطير بالفعل ، واستطاعت فهم نشوة القوة بحق .. إنها تستطيع عمل كل شيء ولا تخاف عمل الأشياء الباقية .. هذه هى أحب لحظات (فانتازيا) لها حين تتقمص بحق دور الشخصية وتتنفس مثلها .. عندها تفهم .. تصير لها رغبات وطموحات ومخاوف .. وهى الآن قد صارت الوطواطة بحق ..

الآن ترى الجبل ، وعلى قمته قصر المليونير العابث (بروس واين) محبوب النساء رقم واحد .. كن سيهمن به حبًا أكثر لو عرفن أنه بالإضافة لثرائه

ووسامته يتحول ليلاً إلـى الرجـل الوطـواط .. وطـواط الليل المهيب الذى يتواثب فوق قمم ناطحـات السحاب ، ويتربص بالشر حيثما كان ..

لكنها لا تتجه إلى الطريق الصاعد المعتـاد .. إنهـا تدور حول الجبل قاصدة نقطة وعـرة عند السفح .. نقطة لا يوجد مجنون واحد يفكر فى تسلقها ..

تترجـل وتعبث بيـن غصـون الشجيرات الملاصقة للمكان ، فتتحرك الصخور إلى اليمين واليسار ليظهـر طريق ممهد بين صفى الصخور ، وتنطلق من جديد بـدراجتها البخاريـة ، بينمـا تخـرج مـن جانب الطريق فرشاة عملاقة تكنس أى أثر لعجلات الدراجـة يمكـن لفضولى أن يتبعه ..

تدخل (عبير) مـا يشبه الكهف ، ومن خلفهـا تنغلق الصخور من جديد صـانعة حاجزًا يحسب الرائى أنـه لم يمس من العصر الطباشيرى ..

الآن تعبر دراجتها طرقـات الكهف المظلمـة وثمـة كشـافات خافتـة على الجانبين .. لاصـوت إلا هـدير

المحرك العالى والصدى .. وحتى هنا مـازال الحذر مـوجـودًا لأن فراشى آلية تخرج من جانبى الطريق ، لتزيل آثـار عجلات الدراجـة من على الطريق بمجـرد مرورها ..

أخيرًا ترى الباب العملاق وجواره مجس البصمات الشهير .. تنزع القفاز مرغمة وتثبته على الزجاج ، وتنتظر حتى تمر أشـعة الماسح الضوئى على يدهـا بالكامل ، ثم يضىء مصباح أحمر فتقرب فمهـا من سماعة هناك لتقول :

ـ « الوطواطة ! »

يرتفع صوت آلى معدنـى مـن تلـك الأصوات التـى يعرفها هواة الكمبيوتر ، يقول :

ـ « التعرف إيجابى .. البصمات مشفرة .. يمكنـك الدخول .. »

والحقيقة أنها كانت تعرف كل شىء عن الوطـواط ، بينما هو لا يعرف عنهـا أى شىء تقريبًا .. تعرف داره

ومكان كهفه السرى وشخصيته الأصلية وكل شىء .. لكنها لم تسمح له بأن يعرف أى شىء عنها .. ولم يجد الوطواط مانعًا من أن يسمح لها بدخول كهفه متى أرادت ذلك .. ذات مرة استطاعت أن تنقذ حياته لمجرد أنها تعرف عنه ما تعرف .. وتأكد هو من أنه من المفيد أن يكون هناك من يعرف أسراره سواه ..

انفتح الباب محدثًا (تك) .. ثم وجدت نفسها فى قلب كهف الوطواط ..

* * *

طبعًا لا داعى لوصف الكهف لأنه معروف لقراء سلسلة الوطواط .. ماذا ؟ لم يقرأها الجميع ؟ حسن .. الوصف سهل على كل حال .. إنه كهف .. هل اتضحت الأمور ؟

كهف عملاق هو تتناثر فى أرجائه شاشات الكمبيوتر الضخمة ، وبعض شاشات الدوائر التليفزيونية المغلقة التى تراقب أهم الأماكن فى (جوتام سيتى) .. وهناك سيارة الوطواط التى تغير شكلها أكثر من خمس

مرات فى القصص ، وطائرته .. وكلها تحمل الطابع المميز لأجنحة الوطاويط ..

هناك الكثير من الأسلحة على الجدران .. وكل أسلحة الوطواط ومعداته تشبه الوطاويط .. عامة طابع المكان أزرق بارد خانق .. ويوحى بالكثير من التوجس ..

هناك صف من التماثيل التى تمثل أعداء الوطواط الأشهر .. إنهم معرض مخيف يضم أسماء سنلقاها حالاً مثل (البطريق) و(المضحك) و(القطة) و(مستر صفر) .. والتماثيل توشك على أن تدب فيها الحياة فى هذا الضوء الخافت ، ومع كل هذا الإتقان ..

هنا كان (الوطواط) و(روبين) يعملان ، وما من بشرى دخل هنا من قبل إلا (ألفرد) الخادم العجوز النزيه والوطواطة التى هى (عبير) ..

الآن يمكنها أن ترى الوطواط .. كان جالسًا أمام شاشة صغيرة يشاهد أحد أفلام الفيديو ، والفيلم كان يصور (روبين) وهو يؤدى بعض التمارين التى لايمكن وصفها إلا بالإعجاز .. لا تنس أنه كان بهلوان سيرك قبل أن يموت أبواه ويتبناه المليونير (واين) ..

كان مكشوف الرأس لكنـه يلبس حلته كاملة ، ولطالما تساءلت (عبير) أين يخفى هؤلاء الأبطـال ثيابهم ؟ تـرى (بروس واين) بالثيـاب العادية يمشى وسط المدينة ، فيكتشف حادث سطو .. هنا يدخل أول زقاق ويتحول إلى شخصية الوطواط .. كيف ؟ هل كـان يدارى هذه الثياب فى جيب الحلة ؟ ولنفرض هـذا .. فمـاذا عن الحـذاء الطويل الرقبة ؟ ثم أين يخفى ثيابه المدنية فى أثناء القتال ؟ تزعم المجلة أنه كان يخفيها فى عباءته ! يـا سلام ! العباءة تخفى حلة كاملة وحذاءيـن وقميصًا وربطة عنق وبرغم هذا ترفرف كالأعلام فى سماء (جوثام سيتى) ؟

المهم أن الوطواط كان يشاهد الفيلم وهو يمزج بين الضحك والبكاء فى ذلك المزيج العبقرى الذى لاتجده إلا عند المجانين .. وكان يكـور قبضتـه ويطـوح بها فى الهواء ، كأنما يستحث البطل على الشاشـة كـى يفعل ما هو أكثر ..

هكذا هو منذ أشهر لا حصر لها ..

قالت له فى حذر :

ـ « مساء الخير يا وطواط .. »

لم يرد ، وهو ما دلها على أن الأمور لاتتحسـن .. بعد قليل قال لها وهو يمسح دمعة :

ـ « قابلته للمرة الأولى فى سيرك (هـالى) ، وكنت ألاحق واحدًا من مافيا الحمايـة يدعـى (زوكـو) .. وكان أبطال السيرك هم آل (جربسـون) : الأم والأب والابن .. وكانت لعبة ترابيز خطرة تلك التى قاموا بها ، حين انقطعت الحبال .. كان هذا هو التخريب الذى تعمده (زوكو) عقابًا لهذه الأسرة على رفضهـا الدفـع .. ومـات والدا الفتى (ديك) وقمت أنا بتبنيه وعلمته كل شىء أعرفه .. وساعدته حتى قبض على (زوكو) وسلمه للعدالة .. صار هو الفتى العجيب (روبين) .. وصار ربيبى الصغير اللطيف (ديك واين) .. إن ما مر بـه من ألم لا يختلف كثيرًا عما مررت أنا به ..

ـ « كان بارعًا .. كان ذكيًا .. كان .. »

ثم ارتجف وتهانف .. دنت منه وهى لا تدرى ما تقول وربتت على كتفه ..

* * *

فى تلك الليلة السوداء كان الوطواط مريضًا .. نعم .. حتى الوطواط يمرض لأنه رجل عادى وليس (سوبرمان) .. وكرجل عادى له لوزتان تلتهبان أحيانًا ..

كان فى الفراش وحرارته تصلح لإنضاج اللحم .. حين اتجه (روبين) ربيبه - الفتى الذكى الملىء بالمرح وحب الحياة - إلى النافذة ليفتحها .. أخذ نفسًا عميقًا ثم نظر إلى السماء .. وسماء (جوثام سيتى) ملبدة بالغيوم دائمًا .. لو كان هناك قمر فهو قمر شاحب كئيب خجول .. وفى السماء يرى الفتى شارة الوطواط مرسومة على السحب ..

- « وطواط .. إنهم يريدونك ! »

مد الوطواط يده إلى جهاز اللاسلكى الصغير الذى يضعه فى متناول اليد دائمًا ، وأصغى إلى الرسالة التى يبعثها له المفتش (جوردون) :

- « الفزاعة يهاجم المصرف .. »

كان هذا كافيًا .. حاول النهوض لكن كل عظمة من عظامه كادت تتفكك ..

الفزاعة هو لص يشبه الفزاعة .. أى خيال المقاثة .. وبالنسبة لعالم الوطواط يعتبر هذا أخطر اللصوص وأذكاهم ، لأنه كان أستاذًا لعلم النفس قبل أن يقرر أنه أخطأ اختيار الكلية بعد الثانوية العامة .. قرر أن يكون لصًا .. وأن يستخدم أساليب الخوف والتنويم المغناطيسى للحصول على ما يريد ..

قال له (روبين) وهو يعد نفسه :

- سأذهب بمفردى هذه المرة .. أنت لا تقدر .. »

- « وأنت لاتقدر على مواجهة الفزاعة وحدك .. »

- « وأنت لا تقدر على الوقوف على قدميك .. »

ما كان الوطواط بحاجة إلى قومسيون طبى كى يعرف هذه الحقيقة ، وهكذا عاد للفراش وهو يلهث ويرتجف .. وقال للفتى :

- « حسن .. اذهب ولكن توخ الحذر .. »

وبالطبع كانت هذه آخر عبارة سمعها الفتى من أستاذه ومربيه ..

ما إن وصلت دراجته البخارية إلى المصرف حتى رأى الفزاعة ورجاله يفرون قاصدين سياراتهم .. الفزاعة يلبس ثيابه المألوفة : قبعة القش على رأسه والثياب الممزقة والقش يطل من كمى قميصه .. وكان يرمى أعواد القش على رجال الشرطة .. ولاحظ (روبين) أن رجال الشرطة يرتجفون ولا يجسرون على التقدم .. وهذا من المشاهد المعتادة مع الفزاعة .. لقد نومهم مغناطيسيًا وهم الآن لايرون أمامهم شارعًا وعصابة ، بل يرون حممًا بركانية تغلى وتوشك على حرقهم أحياء ..

ثلاث شقلبات بهلوانية حتى صار عند العصابة ، فركل اثنين منهم فى الصدر وضرب اثنين فى البطن .. وهى من معجزات الوطواط الغريبة : يمكنه أن يضرب أربعة رجال بأربعة أطراف ويظل واقفًا على الأرض كذلك كأن له قدمًا ثالثة ..

تحاشى رصاصة كادت تمس رأسه .. وقذف قذيفة الوطواط (الباتارانج) التى تشبه (البوميرانج) الأسترالية لتحلق وتضرب الرامى فى أنفه .. ثم دار ليركل أحد الرجال فى عنقه و ....

هنا بدأ الفزاعة يؤدى عمله .. رفع يده التى يغطيها القش فى وجهه وقال بصوته المكتوم :

- « أيها الفتى العجيب .. أنت مثل غيرك تشعر بالخوف .. بالخوف .. »

حقًا كان هناك الكثير مما يدعو للخوف ..

ماذا أتى بكل هذه الأسود والنمور هنا بالذات ؟ فى قلب مدينة (جوتام سيتى) ؟

الويل .. إنها جائعة !! تراجع (روبين) للوراء فى ذعر بينما هذه الوحوش تدنو منه مكشرة عن أنيابها ، وأدرك فى ضيق أن الفزاعة قد ركب سيارة الهرب مع رجاله .. لكن الخطر الذى أمامه كان مباشرًا وحقيقيًا إلى حد لا يصدق .. إنه ليشم رائحة أنفاسها الكريهة .. إنه ....

لكن هذا كله وهم .. بالتأكيد وهم ..

دون تردد اجتاز صفوف الوحوش بل وداس على بعضها فلم يحدث له شىء ..

لحق بدراجته البخارية وانطلق يطارد سيارة اللصوص .. ومن خلفه راحت سرينات سيارات الشرطة تولول .. لقد صحا هؤلاء التنابلة من سباتهم ..

سيارة اللصوص تتجه إلى الجسر .. يلحق بهم وهو يضغط على أسنانه فى تحد .. إن سنه المراهقة تجعله خاسرًا سيئًا لايقبل الهزيمة بحال .. وهذا هو ما أضاعه ..

بازوكا ! إن لديهم فى السيارة بازوكا !

لكن ....

★ ★ ★

ـ « لااااااااااه !! »

قالها الوطواط وهو يغطى عينيه ..

حسب ما قاله رجال الشرطة ، فإن الدراجة النارية

تحولت إلى شعلة من الجحيم ثم طارت لتسقط من فوق الجسر .. وفيما بعد كان حجم أكبر قطعة وجدوها منها لا يزيد على حجم هذا الكتيب ..

أما عن جثة الفتى فهم لم يجدوا إلا حذاءه .. لقد تلقاها فى فمه حرفيًا ..

ولم يستطع الوطواط أن ينسى ولم يستطع أن يغفر لنفسه قط .. لو كان رجلاً حقيقيًا لاستطاع أن يذهب مع الفتى عديم الخبرة .. أو لتجاهل استدعاء الشرطة له .. إنهم يتقاضون راتبًا أمّا هو فلا ..

التهاب لوزتين ؟ تبًا !

لم يعثر أحد على أثر للفزاعة من وقتها ، ولم يسمع عنه أحد .. إنه يتوارى حيث لايعرف أحد ، ويخرج حين لا يتوقع أحد ، ليفعل ما لا يتصوره أحد ..

وتمر الساعات فالأيام فالشهور والوطواط جالس كما هو أمام الشاشة يستدعى الذكريات .. حين كان له ابن وصديق وزميل كفاح .. ودب الثلج إلى قلبه فلم يعد



تقف (عبير) ترمقه فى غباء .. من الواضح أنه لن يستجيب حتى لو حقنوا فى عروقه دماء الإسكندر الأكبر ذاتها ..

يبالى بأن يستدعيه رجال الشرطة أو لايستدعوه .. إنهم مجموعة من التنابلة .. لقد وقفوا ينتظرون حتى احترق (روبين) حيًا ..

وهو ؟ ما دوره فى مكافحة الجريمة إذا كان قد عجز عن حماية أصدق أصدقائه ؟

لم يعد لشىء جدوى ولا معنى .. فليشطبوه من رابطة العدل .. فليشنقوه إن أرادوا فهم بذلك يزيحون عن كاهله الكثير من الأعباء ..

تقف (عبير) ترمقه فى غباء .. من الواضح أنه لن يستجيب حتى لو حقنوا فى عروقه دماء الإسكندر الأكبر ذاتها .. لكنها كانت قد قررت أن تجبره على الحماسة ..

هذا لن يكون سهلاً لكنه ممكن ..

* * *

5ـ أنقذوا الوطواطة

كما يعرف أكثركم : تم السطو على حصيلة الحفل الخيرى المخصص للأيتام ..

كان هذا فى الثامنة مساء السبت ، فى قاعة احتفالات المدينة ، وفى حضور المحافظ ورئيس الشرطة ..

الحقيقة هى أن أهالى (جوتام سيتى) كانوا شديدى السخاء ، وقد شرعوا يلقون بأوراق العملة فى الكأس العملاقة التى يبلغ ارتفاعها قامة رجلين .. ومن الغريب أن الكأس امتلأت وكادت تفيض ..

دوى التصفيق بينما عمدة المدينة يعلن انتهاء التبرعات .. ولابد أن المبلغ قد قارب الثلاثة ملايين إذا ما فكرنا مليًا فى حجم الكأس .

ـ « ياسادة .. لقد برهنت (جوتام سيتى) على .... »

على انعدام الأمن طبعًا ..

لقد برز من لامكان خمسة من المسلحين .. كانوا ـ كما هى العادة ـ يضعون على رءوسهم أقنعة وحوش الغاب .. أحدهم يضع قناع ذئب وآخر يضع قناع أسد .. الخ .. مرورًا بالوعل والفيل ..

كانوا يحملون البنادق الآلية .. وتصلب الناس وقد فهموا الرسالة سريعًا : الويل لمن يتحرك ..

برغم هذا وجد أحد المتحمسين من اللصوص الوقت والدافع كى يطلق دفعة طلقات فى الهواء ، وتهاوت الزينة الورقية لتتدلى فوق الرءوس كأنها خيوط عنكبوت ..

ودوى الكثير من الـ (أوه) والـ (ياه) والـ (واو) ..

تصلب الجميع وتراجع العمدة للوراء وهو يردد كأى عمدة :

ـ « هذه فضيحة !! »

طلقة رصاص محكمة أصابت الكأس فانفجرت ، وتناثرت الدولارات فى شكل نافورة جميلة يتمنى مدير أية شركة صرافة لو غرق فيها ومات ..

كانت هناك حقائب بلاستيكية عملاقة ، وقد راح ثلاثة من الرجال يعبئونها بسرعة ونشاط ، بينما ظل الأسد والدب يراقبان الجمهور .. طبعًا لابد أن يكون الزعيم هو من استأثر لنفسه بقناع الأسد .. هذه هى طبيعة البشر .. حتى أعتى المجرمين لابد أن يحمل مسحة ما من عالم الطفولة ..

لا ندرى متى وجد أحد رجال الشرطة الوسيلة للتسلل إلى الخارج .. لاندرى متى طلب التعزيزات بجهاز اللاسلكى فى السيارة .. لاندرى متى انطلقت سيارات الشرطة نحو قاعة الاحتفالات ، ولاندرى متى صعد أحد رجال الشرطة إلى سطح البناية ولامتى أضاء الكشاف العملاق ، فانطلق النور الساطع إلى السحاب .. وعلى وجه السحب انطبع الشعار المميز المطمئن .. دائرة يتوسطها وطواط يرفرف بجناحيه ..

لكن الوطواط لم يستجب ..

شخص آخر استجاب .

ومن لا مكان ومن حيث لا تجسر النسور .. حلق الخيال الرشيق فاردًا عباءته فبدأ كوطواط جميل ..

ولم يدر اللصوص متى ولا كيف نزل عليهم هذا الوطواط من سقف القاعة متعلقًا بحبل من الحبال الخطافية التى يستعملها الوطواط بإفراط ..

ـ « الوطواط ؟ »

لا .. ليس الوطواط وكنا نود لو كان كذلك ، لكن الوطواط لا يلبس هذين الكعبين العاليين ، ولا هو بهذه الرشاقة وخفة الحركة .. الفارق هو حرف التاء فى نهاية الاسم .. لقد جاءت الوطواطة كى تقوم بعمل الوطواط ، وهى ليست بالخصم الهين على كل حال .. إن من يستخف بها فى البداية باعتبارها فتاة يدفع الثمن غاليًا ..

انطلقت البنادق الآلية نحوها لكنها قامت بعدة عجلات بهلوانية انتهت بكعبها فى بطن اللص الذى يضع قناع الأسد ، وكان هذا كافيًا كى يسقط أرضًا .. يمكنها انتزاع سلاحه واستخدامه ، لكن التقاليد هى التقاليد .. لابد من الركلات واللكمات .. الكثير منهما فى الواقع ..

لكن الفتيات يرتكبن أخطاء .. نعم .. يرتكبنها أكثر من الرجال خاصة فى مواضيع القتال هذه ..

وقد تمكن أحد اللصوص من أن يهوى على مؤخرة رأسها بدبشك بندقيته .. لا تدرى متى دار من خلفها ولا متى هوى على هذا الموضع المختار الكفيل بأن تفقد وعيها ..

تهاوت كالبالون المثقوب على الأرض ، وكاد أحد الرجال يفرغ فيها طلقاته لكن ..

ـ « لا تفعل .. ! إنها رهينة ثمينة ! »

طبعًا كانت هذه من الأسد الذى بدأ يسترجع وعيه .. نهض وهو يعتصر بطنه وأمرهم بأن يستبقوها ، وأمر أحدهم ـ وهو الدب ـ أن يحملها على كتفه .. ثم أطلق طلقة محذرة فى وجه الرجال .. وانطلق الخمسة بحملهم المالى والأنثوى الثمين ..

نلاحظ هنا أن الشرطة فى (جوتام سيتى) لا وجود لها .. إن رجالها مجرد أشخاص مذعورين لا يفعلون

شيئًا سوى انتظار قدوم الوطواط من السماء .. وهكذا تراهم لا يفعلون شيئًا ، بينما اللصوص يغادرون قاعة الاحتفالات .. فقط يطلقون بعض الطلقات فى الهواء من خلف أبواب سياراتهم المفتوحة ، على سبيل المجاملة لا أكثر ..

وتنطلق عربة اللصوص بعدما تحدث فرملة صارخة مولولة .. ثم تذوب فى الظلام ..

فى نشرة المساء ظهرت على شاشة التليفزيون صورة مقلقة بعض الشىء .. صورة وجدتها الإدارة على شريط فيديو فى صندوق البريد ..

كانت الوطواطة معلقة فى وضعية النسر المرفرف .. معلقة من حبال تتدلى من السقف ، بينما تحتها وعلى بعد ثلاثة أمتار لا أكثر يغلى سائل ما موضوع فى مرجل نحاسى عملاق .. ومن الملاحظ هنا أن كل لصوص هذه القصص يتصرفون بدماثة خلق .. فهم تركوا قناعها على وجهها ولم يحاولوا انتزاعه ولو على سبيل الفضول ..

فى مقدمة الكادر ظهر وجه الأسد وهو يشير إلى الوراء ويقول :

ـ « كما ترون يا سادة .. الوطواطة فى قبضتنا .. ولسوف نلقيها فى بركة الحمض هذه بعد ست ساعات ما لم نتلق مبلغًا إضافيًا نظير سلامتها .. إن ثلاثة ملايين دولار تبدو مبلغًا مرضيًا .. التفاصيل سيعرفها رجال الشرطة بعد قليل .. »

ثم أخرج سكينًا من جيبه ولوح به :

ـ « فكروا بسرعة .. إن انقطاع هذه الحبال سيكون مشهدًا لا نحب أن تروه .. »

وبكت الوطواطة وارتجفت .. على حين انتهى الشريط ..

وعادت مذيعة النشرة الحسناء تواجه المشاهدين قائلة فى حسرة :

ـ « هذه هى الحقيقة .. الوطواطة أسيرة ومعرضة للخطر ، والوحيد الذى يملك شيئًا لها هو الوطواط .. فهل يسمعها ؟ هل يستجيب ؟ »

كان المشهد مؤثرًا وقد بكى كثيرون ..

* * *

من بين الذين بكوا كثيرًا جدًا (عبير) الوطواطة واللصوص إذ جلسوا جميعًا يشاهدون التلفزيون ويأكلون الفيشار .. وجوارهم أكياس المال البلاستيكية .. وعلى بعد أمتار كان الماء الساخن فى المرجل قد كف عن الغليان ..

ـ « مؤثر جدًا .. »

قال لها اللص الذى كان يضع قناع الأسد :

ـ « لا تنكرى أننى أديت دورى كأنما خلقت له .. »

ـ « لم لا ؟ ألست ممثلاً ؟ أعتقد أن هذا هو الشىء الوحيد الذى تجيده .. »

مدت (عبير) يدها فى حقيبتها وأخرجت حفنة من المال ، وبدأت توزيع الأجور على الممثلين الخمسة .. ولم يبد عليهم رضا شديد لكنهم ابتلعوا الأمر ..

ـ « يمكنكم أن ترحلوا الآن .. سأنتظر أنا قدوم الوطواط إما أن يأتى وينقذنى ، وإما أن أعيد أنا المال غدًا للشرطة وأزعم أننى حولتكم إلى عجين .. »

قال لها الأسد وهو يمد يده طلبًا للمزيد :

ـ « أريد علاوة .. إن ركلتك كادت تزهق روحى .. »

فى قسوة قالت وهى تنهض :

- « ودبشك بندقية صديقى كاد يهشم رأسى من الخلف .. نحن متعادلان .. »

- « ولكن .. »

ثنت ركبتها ووجهت له لكمة عاتية فى أسفل بطنه ، ثم اعتصرت أنفه وأسفل وجهه حتى شوهت ملامحه تمامًا ..

- « أنا اقتنعت ! أطلقى سراحى حالاً ! »

أطلقت سراحه ونظرت فى تحد للأربعة الآخرين بأسلوب (هل - تريدون - خدمة - يا - فتيان - ؟) فهزوا رءوسهم ، وحمل كل منهم أجره وانصرف .. هكذا البشر .. لقد نسوا نفوسهم حين رأوا أكياس المال الممتلئة ..

الآن لم يعد أمامها إلا أن تتابع التلفزيون وتنتظر ..

لو كان الوطواط قد رأى الفيلم ، وهو غالبًا سيراه ، فلن تفوته اللافتة الصغيرة التى قامت بتعليقها فى مؤخرة الكادر ، التى تقول بوضوح :

« مطعم ويب سينج للأكلات الصينية »

لو استطاعت لوضعتها فى مقدمة الكادر لكن لايجب أن تفوح من القصة رائحة مبالغة ..

فقط عليها أن تنتظر ..

* * *

وكان عليها أن تنتظر كثيرًا جدًا ..

تنتظر حتى تعرف أنه لن يأتى ..

ها هو ذا النهار يطلع عليها ، وهى مازالت هنا .. فقط نامت أكثر من خمس مرات ولم تدر كيف نامت ولا كيف أفاقت .. أخيرًا تسربت أشعة الشمس عبر خصاص النافذة وقالت لنفسها : إن الخنزير المجنح لن يأتى أبدًا .. هو بالتأكيد يعرف الخبر الآن لكنه تجاهل كل شىء .. فضل أن يضحى بها كى يثبت لنفسه أنه مكتئب ..

إن الحزن جميل .. أجمل من القتال .. أجمل من المروءة .. أجمل من المجد ..

وهكذا كان عليها أن تغادر المطعم الصينى المهجور، وأن تضع كل أكياس المال على دراجتها البخارية وتتجـه إلى المخفر ..

من الغريب أن أحدًا هنـاك لـم يسـألها ولـم يهلـل ابتهاجًا بنجاتها ..

ما سر هذا التجاهل ؟ هل كرهها الناس فجأة ؟ هل تحول الجميع إلى خنازير ؟

كان المفتش (جوردون) واقفًا هناك يدخن سيجاره الغليظ، ويداه فى جيبى معطفه، فلما رآها قال فى برود :

ـ « أوه ييه ؟ Oh Yeh هل أرجعت المـال ؟ جميل .. جميل .. »

قالت فى غيظ وهى تلقى الأكياس عند قدميه :

ـ « لم تسألنى عن سلامتى .. »

قال بنفس البرود :

ـ « نحن طلبنا الوطواط لكنـه رفض أن يذهب للبحث عنـك .. قـال لنـا إن هـذه مزحـة لأنـه يعرف المطعم

المهجور الذى كنت فيه، ويعرف أن صاحبه لم يكتب لافتات بالإنجليزية قط .. كان (ويب سنج) يقدس اللغة الصينية .. هذه واحدة .. »

ـ « والأخرى .. ؟ »

ـ « لايمكن لحفاظ على الحمض فى مرجل من النحاس .. إنه يتحول على الفور إلى كبريتات النحاس .. إن الوطواط ينصحك بمراجعة معلوماتك فى الكيمياء !! »

* * *

6 ـ ألعاب البطريق ..

جالسًا فى كهفه يطعم بطاريقه، نظر لها فى عدم تصديق ..

أنفه المدبب وأسنانه الحادة والهالات السوداء تحت العينين وكرشه العملاق .. بينما يداه بلا أصابع كأنما هى أجنحة صغيرة .. وسترة السهرة مفتوحة كاشفة عن بطنه، بينما تتدلى إلى الخلف بما يشبه ذيل الصرصور .. وقامته قصيرة لا تتجاوز مترًا وربع المتر ..

كان له صوت غريب .. والسبب هو أن أول من قام بهذا الدور كان الممثل (بيرجيس ميريديث)، وقد أرغمه المخرج على تدخين السيجار وهو لم يدخن قط .. هكذا احترقت ـ تقريبًا ـ جيوبه الأنفية وصارت له تلك النبرة الخنفاء المناسبة للدور تمامًا ..

إنه البطريق .. البنجوين .. أشهر وألد أعداء الوطواط..

قال لها فى شك وهو يداعب بطاريقه بطرف عصاه :

ـ « أنت متأكدة من أنك لم تأتى للقبض على ؟ »

هزت رأسها باسمة أن لا .. فعاد يسأل :

ـ « ومتأكدة من أن هذا ليس شركًا ؟ »

من جديد هزت رأسها ..

ثم لوحت بالوثيقة أمام عينيه وقالت وهى تحركها يمينًا ويسارًا :

ـ « أنت ترى ما أراه .. هذه وثيقة تشملك بالعفو الكامل لو نفذت ما أقوله لك .. »

الحق إن البطريق كان أقبح إنسان يمكن للمرء أن يراه .. حسب القصة الشهيرة ولد طفلاً مشوهًا لأبوين لم يتحملا أن يكون هذا المسخ طفلهما .. تخلصا منه فى شبكة المجارى تحت (جوثام سيتى) وفرا .. هذا هلاك محتوم للرضيع .. هلاك لاشك فيه .. لكن المياه تجرف الرضيع إلى ماسورة صرف عملاقة قرب النهر ..

هنا تأتى طيور البطريق لتجد الرضيع .. وتحسبه منها من فرط تشوهه ، من ثم تقرر أن ترعاه وتتبناه .. وبالفعل يشب الطفل وهو لايعرف له أهلاً إلا طيور البطريق .. إنه يبدو مثلها بالتأكيد بأنفه الشبيه بالمنقار وبطنه المنتفخ وقامته القصيرة ..

فيما بعد فعل ما يفعله أى رجل ناجح فى العالم : عرف قدراته واستغلها جيدًا .. عرف أنه يبدو كالبطريق ، فتحول إلى بطريق .. لو أنك رأيت طيور البطريق تتزاحم حول الثلوج فى القطب الجنوبى ، لبدت لك آدمية جدًا ، وكأنها تلبس ملابس السهرة .. وكان هذا هو الزى الذى اختاره لنفسه ..

ثم كان أن صار لصًا .. أعتى لص فى المدينة .. وهو لايمارس الجريمة من أجل الكسب ، فماذا عساه يفعل بالمال من يعيش مع البطاريق فى كهف به بعض برك الماء ؟ إنه يفعل هذا على سبيل التسلية .. على سبيل الحقد على المجتمع ..

وكان مقدرًا أن يستمر هذا الرجل ، لو لم يبرز للبطريق

وطواط آدمى .. وطواط يعرف كيف يوقفه عند حده ويعاقبه ويسجنه كلما ارتكب جرمًا ما .. ولاداعى لأن نؤكد هنا أن البطريق يكره الوطواط كما نكره نحن الثعابين ، وبالتأكيد لم يكن يرى له نفعًا ما إلا أن يسقط ميتًا فى الشارع وحوله بركة من الدم ..

لكنه اليوم بدأ يغير رأيه ..

* * *

قالت له الوطواطة وهى تطعم أحد البطاريق بسمكة صغيرة أخذتها من طبق على المنضدة :

- « أنت تفتقد الوطواط .. أليس كذلك ؟ »

نظر لها فى صمت .. ثم اعتصر عصاه فى كثير من الغيظ ..

قالت له باسمة ودون أن تنظر إليه :

- « لا تخجل .. إن هذا معتاد .. »

للسقف المبتل الذى تتدلى منه الهوابط نظر ، وقال متنهدًا :

ـ « بلى .. أنا أفتقد الوغد .. إن الحياة من دونه لا طعم لها .. لا معنى للشر ولا لذة له إن لم يكن هناك محارب الجريمة البارع الذى لا يحلو الشر إلا فى وجوده ..

« إن رجال شرطة (جوثام) مجموعة من الموظفين الحمقى الذين يفتقرون إلى الذكاء ، بينما الوطواط كان العقل الوحيد الجدير بى .. كان هو لاعب الشطرنج الوحيد الذى أقبل أن ألعب معه .. صحيح أنه اختار القطع البيضاء واخترت أنا القطع السوداء ، لكن المباراة ممتعة حامية الوطيس .. وفجأة انسحب هذا اللاعب العبقرى ليتركنى وحيدًا .. »

وأشار إلى منضدة عليها بعض أسماك الرنجة وبعض قطع الجبن .. وقال :

ـ « هذا هو طعامى منذ شهر .. صدقى أو لاتصدقى .. أنا لم أسرق تفاحة واحدة منذ اختفى

الوطواط .. لم أقم بعملية واحدة .. لا أجد فى نفسى الرغبة ولا الحماسة لعمل شىء .. مستحيل أن يعود البطريق لسرقة المتاجر بعدما يهشم زجاجها بقطعة حجر .. مستحيل أن أمشى فى الأزقة بقطعة سلك باحثًا عن سيارة يمكن أن أفتح بابها ..

« لقد انتهى الوطواط ومعه انتهت مباراة الشطرنج البارعة ، ولم يعد لى من دور فى الحياة ! »

ثم انفجر فى البكاء مما أثار شفقتها وربتت على كتفه وهى لا تدرى ما تقول ..

فى النهاية سألته :

ـ « هل تقبل أن تساعدنى إذن ؟ »

ـ « فى استعادة الوطواط ؟ طبعًا .. لكنه سيبدأ بقطع رقبتى .. »

ـ « لن يحدث .. إن العفو العام سيجعله مكتوف اليدين .. »

* * *

كان الوطواط ذكيًا .. للأسف كان كذلك .. وهذا ماجعل خطة المطعم الصينى إياها تفشل بجدارة ، ثم كيف كان لها أن تلاحظ أن المرجل من النحاس .. أشياء كهذه لايلاحظها من يحاول إعادة وطواط إلى الصف ..

وكان التلفزيون ينقل تفاصيل مباراة الكرة المهمة فى تاريخ المدينة .. فريق الشرطة مع فريق ضيف .. ولسبب ما يصر الأمريكان على اعتبار هذا الشىء الذى يلعبونه كرة قدم ، بينما مانلعبه نحن يسمونه (ساكر) ..

كرة القدم هذه عبارة عن مجموعة من الجبال الآدمية تلبس الخوذات والأكتاف المدرعة ، تتصارع للحصول - بكل الطرق الممكنة وغير الممكنة - على كرة بيضاوية بائسة ، وتصطدم الإرادات بالإرادات والأجساد بالأجساد فتوشك أن ترى الشرر يتصاعد إلى عنان السماء ..

المدينة كلها تهلل بينما أحد هؤلاء القتلة يتقدم لينزع الكرة من قاتل آخر ، ثم يركض .. ويركض .. ويركض .. والجماهير تصرخ .. وتصرخ ..

فى الوقت ذاته فى المدينة التى صارت شبه خاوية ، حدث شىء غريب ..

كانت هناك دبابة عملاقة لها ذات ملامح البطريق الضخم ، تتقدم عبر الشوارع نحو مصرف المدينة الاتحادى ..

أمام جدار المصرف الرئيسى وقفت الدبابة .. تراجعت بضع خطوات للوراء ثم أطلقت قذيفتها .. بوم !!

وبعد قليل كانت هناك فجوة بحجم سيارة فى الجدار ، ومن الدبابة خرج البطريق وهو يمضغ سيجاره فى نهم ، ويأمر رجاله :

- « هلموا يا شباب ! إن غنيمة باردة تنتظرنا هنا !! »

ويهرع الرجال إلى داخل المصرف ، ويتجهون إلى حيث الخزائن ، ويبدءون التفجير فى نظام ودقة كأنهم مارسوا هذا العمل مرارًا .. ويسأل أحد الرجال البطريق :

- « كم النتيجة حتى الآن ؟ »

يضربه البطريق بعصاه على رأسه :

ـ « تبًا لك يا أحمق ! »

ثم يجلس على الدبابة فى وضع مسترخ ، بينما الرجال يفتحون خزانة تلو الأخرى .. ويثبتون خرطومًا إلى الدبابة فيتضح الأمر .. إنها مكنسة كهربية عملاقة لا تبدو كذلك ..

الآن تدور عملية شفط محتويات الخزائن إلى كيس عملاق فى مؤخرة الدبابة ، ويتضخم الكيس بالتدريج ..

ـ « أسرعوا!!!!! ! لن نظل هنا طيلة اليوم .. »

ثم يهرع الرجال إلى الدبابة التى صار منظرها عجيبًا الآن ، هو خليط من البطريق والمكنسة الكهربية والدبابة .. وتستدير الدبابة مولية الأدبار ..

الآن والآن فقط يخرج رجال الشرطة حاملين مسدساتهم .. يطلقون فيضًا من الرصاص على المجنزرة المدرعة ، لكن هيهات .. هذا نوع من المزاح لا أكثر ..

ويصيح صائح أن يستدعوا رجال الشرطة كلهم وأن يستدعوا الوطواط ..

ـ « لكن الوطواط لا يستجيب .. »

ـ « ربما فعلها هذه المرة .. »

وهكذا تنطلق الإشارة العملاقة إلى عنان السماء ، وسماء (جوثام سيتى) مزدانة بالسحب دائمًا ولا تصفو أبدًا . هكذا ينطبع شعار الوطواط المهيب على صفحة السماء ..

وفى الاستاد يرى الناس جميعًا الإشارة ، وينصرفون عن المباراة فى أهم لحظاتها .. وينظر اللاعبون ليروا أن الجمهور لا ينظر لهم .. الكل ينظر إلى السماء ذاهلاً فاغرًا فاه ..

ويصيح المأمور فى رجاله :

ـ « أسرعوا ! لابد أنهم لم يبتعدوا كثيرًا .. »

ويندفع الرجال إلى الخارج ، فقط كى يكتشفوا المفاجأة المروعة .. كل أبواب الإستاد موصدة ، وبإحكام .. الجنازير الثقيلة التى تدعم البوابات كلها تحمل شعار البطريق ..

ويطلق رجال الشرطة رصاصهم على الجنازير لكنها لا تخضع لأحد .. عشرات الطلقات بلا جدوى ، بينما بدأ الناس يصابون بالذعر ، وأوقف الحكم المباراة لأن أحدًا لم يعد يتابع ما يحدث ..

عشرون رجل شرطة يفرغون طلقاتهم فى فولاذ لا يستجيب ..

ويتنهد المأمور ويتراجع للوراء ، ثم يجفف عرقه :

- « أوقفوا إطلاق النار .. لابد من حدادين .. »

- « بل لابد من خبراء تفجير .. هذه البوابات لن تستجيب إلا للديناميت .. »

أشار لرجاله وأمرهم بأن يحاولوا التسلق .. وابتلع ريقه فى مرارة وهو يرى أن كاميرات التلفزيون انصرفت كلها عن متابعة المباراة إلى مشاهدة هذا السيرك ..

سيرى كل العالم هذه الفضيحة فى لحظة وقوعها ..

رجال شرطة (جوثام سيتى) وقعوا فى مصيدة سخيفة مضحكة .. وها هم أولاء يتخبطون كالحمقى فى شباك البطريق .. أين الوطواط ؟ لماذا لا يتدخل ذلك الأحمق ؟

فقط الوطواط يعرف كيف يقبض على البطريق ، ويعرف كيف يحررهم ..

لكن الوطواط لم يأت ..

لم يأت قط ..

وعندما تحرر رجال الشرطة أخيرًا ، كانت شارته ما زالت فى السماء لكن الغيوم بدأت تتقشع ، مما جعلها تبدو مهلهلة شاحبة .. لا تخيف الوطاويط البشرية الأخرى ..

* * *

7ـ ثم جاء المضحك ..

ها ها ها ها !

تدوى الضحكة طويلة رفيعة هستيرية .. ربما أكثر مما يحتمله الأمر .. ربما إلى درجة تدل على جنون مطبق .. ربما إلى درجة تثير الذعر فى قلبك ..

وعلى مقعده يتلوى المضحك أو (الجوكر) وهو يضرب الأرض بقدميه من فرط استمتاع .. شعره الأخضر يسقط على وجهه .. قدماه الطويلتان النحيلتان تتحركان فى عصبية ..

إنه جالس أمام شاشة التلفزيون العملاقة الموجودة فى الطابق السفلى من نقابة المجرمين ، وهو يشاهد للمرة الألف تلك المشاهد الدسمة التى تظهر رجال الشرطة يحاولون الخروج من بوابات الإستاد ..

ـ « ها ها !! رائعععععععع !! لعبة متقنة بحق ! »

حوله يجلس الرجال ، بينما البطريق يجلس فى مقعده المفضل على شكل بطريق ، وهو يستند بذقنه على عصاه ويلوك السيجار فى غيظ .. الحقيقة أنه لم يعتبر نفسه نجح .. النجاح الوحيد بالنسبة له كان أن يظهر الوطواط فى سماء المدينة .. لكنه بالطبع لا يجرؤ على إعلان هذا وإلا مزقه الرجال إربًا .

ـ « هوه هوه هوه !! وماذا فعلت بكل هذا المال ؟ »

قال البطريق وهو يمضغ السيجار أكثر :

ـ « تخلصت منه بالطبع .. ألقته سيارة أحد رجالى فى كومة أمام المصرف .. »

ـ « ولماذا ؟ »

فى اشمئزاز قال البطريق :

ـ « أنا فنان ولا أسعى للمال .. لقد حاولت البرهنة على شىء .. »

ـ « وفشلت ؟ »

لم يرد البطريق فانفجر المضحك فى قهقهته الساخرة العربيدة ..

* * *

يعرف قراء مجلة الوطواط المضحك جيدًا ..

يعرفون شكله الشبيه بـ (جوكر) أوراق اللعب ، بفمه الواسع الذى يكشف عن ضحكة عابثة ماجنة .. ويعرفون ثيابه فاقعة الألوان .. ويعرفون بشرته البيضاء بلون هذه الورقة ، وبالطبع يعرفون شعره الأخضر .. وكان آخر من جسده من الممثلين (جاك نيكولسون) العظيم فى فيلم (الوطواط) ..

إن المضحك مرعب .. وهو يثير تلك المخاوف الكامنة فى أعماق أكثرنا من مهرج السيرك .. إن مهرج السيرك له ضحكة قاسية عابثة ، وهو ملطخ بالأصباغ وعيناه ميتتان .. حقًا لا أفهم كيف يحبه الأطفال ..

كان المضحك لصًا عاديًا حتى طارده الوطواط ذات ليلة فى أثناء سرقة مصنع كيماويات ، وكان أن اضطر الأحمق إلى السباحة فى مادة كاوية ، خرج منها بهذا الشكل الغريب ، مع الضحكة الساخرة القاسية على شفتيه .. وكان أن وجد فى نفسه مقتًا شنيعًا للوطواط ، بالإضافة إلى إمكانات تتيح له أن يلعب لعبة المضحك هذه ..

إنه مهرج سخيف .. كل دعاباته قاسية إن لم تكن قاتلة ، وفى بعض القصص تجد لديه مصلاً يقتل ضحاياه ويترك جثثهم تحمل ذلك التشوه الضاحك المريع .. باختصار يشبهونه .. وهو يهوى أن يترك أوراق لعب تحمل صورة (الجوكر) على سبيل التوقيع بعد كل جريمة يقوم بها ..

* * *

اجتاز الرجل باب المحل الدوار ..

ملامح وجهه قاسية شرسة وثمة ندبة جرح تحت خده الأيمن تشى بباع طويل فى المعارك .. كان غامضًا صلبًا وإن لم يكن جسده ضخمًا يتناسب مع شراسته .. لكنه كان واثقًا .. كان خطرًا ..

فى الداخل ينتقى الزبائن الثياب .. الرجال ينظرون له فى كراهية ، بينما النساء يرمقنه فى شىء من الإعجاب والخوف .. يجتاز كل هذا إلى أن يدخل غرفة البروفات الضيقة ..



- «آه ! معذرة !!»
وفى اللحظة التالية وجدت ماسورة مسدس عملاقة مثبته إلى أسفل ذقنها ..

طبعًا ـ فى كل هذه القصص السخيفة ـ تكون غرفة البروفات ممرًا إلى الطابق السفلى .. إلى قاعة سرية خاصة .. وليست هذه القصة مختلفة كثيرًا عن هذا ..

ها هو ذا الرجل الغامض ينزلق فى المصعد إلى الطابق السفلى ويغادر المكان .. هناك أغرب مجموعة من السحنات الكريهة والقاتمة .. وجوه سفاحين .. وجوه مجرمين إن صحت فراستى ..

هناك موظفة شرسة المنظر تجلس إلى حاسب آلىّ، فيتقدم الرجل منها ، ودون كلام تفتح كفها طالبة منه هويته ..

- « آه ! معذرة !! »

وفى اللحظة التالية وجدت ماسورة مسدس عملاقة مثبتة إلى أسفل ذقنها .. تصلبت بينما قال الدخيل فى برود :

- « هذه هى بطاقتى .. أظنك تعرفين الآن من أنا .. »

كانت بطاقة الهوية واضحة ولا تدع مجالاً للشك فى شخصية السيد الكريم .. لكن أحد اللصوص دنا منهما وربت على كتف الدخيل فى ترحاب :

ـ « مرحبًا بـ (جاك السفاح) .. معذرة .. إن الفتاة جديدة هنا .. »

ـ « ستكون جديدة جدًا حين أدخلها القبر .. »

ونظر لها فى ثياب وضغط على الزناد فى عصبية لكنه لم يطلقه ، ثم مشى مع الآخر مبتعدين ..

وبدا من تراجع الرجال أنهم يعرفونه حقًّا ، وأن سمعته غير مريحة على الإطلاق .. كان يمشى فى عجلة وتصميم قاصدًا القاعة الكبرى فى نقابة المجرمين ، الذين لاتعرف قلة من الناس أنها هنا ..

إن نقابة المجرمين تنظيم معقد ويصعب الدخول إليه .. وهو يعادل رابطة العدل بالنسبة لشركة (دى سى كوميكس) ..

لابد أن دقيقى الملاحظة منكم قد لاحظوا أن هذا الـ (جاك) ليس سوى الوطواطة .. نعم .. كلنا لاحظنا

ذلك من دون شك .. إن من يعرفون (جاك) جيدًا يذكرون أنه أضخم من هذا .. والجرح على خده ليس بهذا الشكل بالضبط .. السيجار الغليظ الذى يدخنه مسدود فلا يمكن سحب نفس واحد منه ..

والصوت ؟ الصوت دقيق والوطواطة على كل حال خبيرة بتغيير صوتها ، لكنها تلصق كذلك على حنجرتها جهازًا من نوع Scrambler يغير تردد الصوت وطول الموجة وشكلها ..

لماذا جاءت ؟ لأن هذه هى الطريقة الوحيدة لدخول نقابة الإجرام من دون قتال ، وهى على كل حال تعرفها عن ظهر قلب ، كما تعرف أن (جاك) السفاح احترق منذ عامين ، ولم يعلم أحد بذلك سواها ..

لهذا جاءت هذه النقابة مرارًا وهى تلبس مثله .. لكنها لم تحاول اعتقال واحد منهم لأن هذا المكان مفيد لها .. إنها تعرف منه ماسيحدث من جرائم .. إنه الدجاجة التى تبيض لها ذهبًا ، وليس من الحكمة أن تذبح هذه الدجاجة من أجل اعتقال لص أو اثنين .. بعد هذا سيجتمعون فى مكان أكثر سرية ربما لا تستطيع اختراقه ..

كان دورها اليوم هو دور (المهيج) .. الرجل الذى يندس وسط المتظاهرين ليشعل المظاهرة ..

وفى قاعة الاجتماعات كان المضحك والبطريق وسيد الأوهام يستكملون محادثتهم ..

قال المضحك وهو يضحك كالعادة فى جنون :

ـ « الحقيقة هى أنك لا تطيق الحياة من دون الوطواط !! »

طبعًا كان على البطريق أن ينكر هذا ، فقال فى حدة :

ـ « ولماذا ؟ ما زالت الوطواطة هنا .. »

انفجر الرجال ضاحكين مما جعل الوطواطة التى هى (عبير) وإن كانت تبدو كـ (جاك) تشعر بالدم يصعد إلى رأسها .. إذن هؤلاء القتلة لا يعملون لها أى اعتبار .. يعتبرونها مجرد موضة نسائية تثير المرح ولا تثير الخوف .. لم تكن قد قابلت الكثيرين ممن يؤمنون بمساواة المرأة فى المجتمع ، لهذا كان من الحمق أن تتوقع أن تجد هذا وسط هؤلاء اللصوص ..

حتى اللصوص متعصبون ضيقو الأفق .. ! هى لم تتوقع هذا !

قال المضحك وهو يحاول أن يتنفس :

ـ « أفهمك تمامًا لأننى أعانى نفس المشكلة .. إن الحياة من دون الوطواط لا تطاق .. أظن أننى سأصاب بالبله لو استمر الحال هكذا .. »

قال بعض اللصوص العاديين :

ـ « لماذا يا ريس ؟ الميدان مفتوح والغنائم لابأس بها .. كان ذلك الوغد المجنح يعوقنا »

تبادل اللصان النظرات المتفهمة ، وقال المضحك :

ـ « هذا لأنك لست فنانًا مثلنا .. نحن نسرق للتحدى ولا نسرق للكسب .. وحين لا نجد من نتحداه .. »

هنا تدخل (جاك) السفاح الذى عرفنا أنه الوطواطة التى هى أصلاً .. صار هذا مملاً ..

قال وهو يشعل سيجارًا غليظًا :

ـ « اسمحوا لى يا رجال .. أنا أفهم ما تتحدثون عنه .. وأتكلم عن مسابقة كبرى .. »

ـ « أية مسابقة يا (سفاح) ؟ »

قال بصوت جهورى دعائى :

ـ « مسابقة بين المجرمين كلهم .. من يقدر على ارتكاب جريمة تقدر على إخراج الوطواط من عزلته واعتزاله .. ! »

تبادل الرجال النظرات وقال أحدهم فى حيرة :

ـ « نحن اللصوص نتبارى كى نعيد الوطواط ؟ ألد أعدائنا ؟ »

قال (جاك) السفاح وهو يشعل عود الثقاب بحكة فى ذقنه الخشنة :

ـ «نعم .. الفائز ينال كل الغنائم التى جمعها الآخرون وينال لقب (لصِ القرن) .. كلنا رأينا أن جريمة البطريق لم تحرك ساكنًا لدى الوطواط ، كأنه استقلها .. »

ـ « وحين يعود الوطواط ليطاردنا ؟ »

ـ « سنحاربه كما كنا نفعل طيلة حياتنا .. »

انفجر المضحك فى قهقهته الهستيرية .. لقد راق له الأمر كثيرًا ، وكانت (عبير) تعرف أنه سيروق له .. قال وهو يركل مقعدًا صغيرًا ليطيره فى الهواء :

ـ « لكن لابد أن يعرف كل مجرمى المدينة هذا الخبر العظيم .. المرأة القطة .. أين هى؟ والمستر (صفر) .. وذو الوجهين ؟ أين رجل الألغاز ؟ »

قال أحد الرجال وهو يراجع دليلاً أنيقًا من الورق (الكوشيه) :

ـ « ذو الوجهين فى السجن الآن .. »

ـ « لابأس ، أخبر الآخرين .. ولتبدأ المسابقة من ظهر الغد ومدتها شهر .. شهر واحد .. »

قال (جاك) وهو يتذكر مهلة رابطة العدل :

ـ « لو سمحت لى ولأسباب لن أذكرها أرجو أن تكون المدة أسبوعين .

ـ « ليكن .. ها ها ها ها »

وسقط على الأرض من فرط الضحك ، وراح يعتصر بطنه التى آلمته عضلاتها بشدة ..

* * *

وقالت عمتها (كاتى) وهى تصلح لها بذلتها :

ـ « هذا خطأ .. أنت تلعبين بالنار يا (بيتى) .. »

كانت المرأتان جالستين جوار المدفأة فى قاعة الجلوس ، والقط يغفو ، يقر بتلك الطريقة المخدرة المغرية بالنوم .. هنك قدحان من مشروب (الجنجر) ، وبضع إبر وخيوط ..

ـ « لماذا يا عمتى ؟ ليس لدى من حل آخر .. »

ـ « أنت تفتحين عش الدبابير وتطلقينه على المدينة .. دعوت اللصوص إلى التنافس فى ترويع الآمنين ، وتخريب المجتمع .. »

هزت (بيتى) رأسها ورشفت بعض المشروب الساخن الحاد :

ـ « الغاية تبرر الوسيلة .. أنا لم أوفق قط فى استعادة الواطواط ، لهذا تركت المهمة لهؤلاء الذئاب .. وهم أبرع وأحط منى ولسوف ينجحون »

قالت العمة فى عصبية :

ـ « يوم أخبرتك بسرى وعلمتك كيف تكونين الفتاة الوطواطة ، كما كنت أنا المرأة الوطواطة ، لم يخطر لى ببال أنك ستطلبين العون من نقابة المجرمين .. »

ـ « لاسبيل لاستدعاء الغطاس إلا بأن تغرقى .. »

ـ « لو لم يأت الغطاس لغرقت بلا ثمن .. »

فى هذا البيت الصغير عاشت (بيتى) وتعلمت أساليب القتال ، وهنا معملها وكل شىء فى حياتها .. طبعاً لاتتناسب الإمكانات مع كهف الوطواط ـ لاتنس أن الرجل مليونير ـ لهذا لم تبلغ الوطواطة قط مبلغ الوطواط ، ولم تخصص لها أية مجلة ..

على شاشة التلفزيون كانت أحداث المسلسل تتتابع ، وفجأة انقطع الإرسال .. انتقلت الكاميرات إلى مسرح المدينة ، وكانت الوطواطة تعرف أنه يقدم عرضاً لأشهر فرقة كوميدية فرنسية (كوميدى فرانسيز) .. بالطبع مع هذا النوع من العروض كان ثمن التذكرة لايسمح إلا لعدد محدود جداً بالمشاركة .. عدد من الرجال ذوى الساعات الذهبية والنساء ذوات قلائد الماس ..

كان المضحك على المسرح ..

وتصلبت (عبير) وهى تراه يتكلم مخاطبًا الجمهور :

ـ « الآن يا سادة أقدم لكم هذا العرض الضاحك .. هوه هوه هوه هوه !! »

وظهر قزم يلبس ثياب الوطواط ، فأخرج المضحك عصًا صغيرة وراح يركض وراءه ليضربه بها على مؤخرته .. ربما كان المشهد مضحكًا وربما لا ، لكن ضحكات المضحك الهستيرية كانت توحى بأنه أكثر من راقت له هذه الدعابة ..

ـ « صفقوا وإلا ! »

كذا صاح أحد رجال المضحك .. وتراجعت الكاميرا لتكشف أن الرجال المسلحين بالبنادق الآلية يملئون القاعة .. وصفق الناس بالفعل .. صفقوا وإلا .. صفقوا بحماسة ....

ـ « والآن يا سادة .. نحن نأمل فى كرمكم ما دام هذا العرض راق لكم .. »

وانفجر يضحك ممسكًا ببطنه ، بينما هرع الرجال حاملين أكياسًا من البلاستيك يدورون بها حول الجالسين على طريقة متسولى الفرق الموسيقية .. ووجد الجالسون أنه لامناص أمامهم من إخراج مامعهم من مال ..

ـ « السيدات ! ماذا عن تلك المجوهرات الثمينة ؟ »

مذعورات تلقى السيدات بالقلائد والأقراط فى الأكياس ، بينما يفك الرجال ساعاتهم .. حتى الأسنان الذهبية تولى اللصوص انتزاعها ..

قالت العمة وهى تواصل الحياكة :

ـ « هل رأيت ما قمت به ؟ أهنئك .. وأين الغطاس يا ترى ؟ »

لكن الغطاس لم يأت .. فقط دوت سرينات رجال الشرطة من خارج القاعة .. لابد أن كل قوة الشرطة فى المدينة وقفت خارج المسرح الآن .. لابد أن كل مسدس لدى الشرطة جاهز للانطلاق الآن ..

ـ « شكرًا لكرمكم أيها السيدات والسادة ! »

وانفجر ضاحكًا وهو ينحنى لهم فى احترام وإجلال ..

وتشبث بواحد من الحبال المتدلية من الديكورات بينما هرع رجاله يتشبثون بحبال مماثلة ، وفى اللحظة التالية ارتفعت الحبال العشرة نحو السقف .. بينما ضحكته السخيفة المفزعة تتردد بأعلى صوت ممكن فلا تحتاج لأى مكبر صوت ..

ههوه ! هوه هوه هوه ! ها ها ها ها ها ها !!

هبت الوطواطة واقفة لاتدرى ماتقول ، بينما قالت العمة وهى تواصل الحياكة دون أن تنظر للشاشة :

ـ « طبعًا .. ولا بد من طائرة هليكوبتر على السطح .. هذه هى التقاليد .. »

والحقيقة أن رجال الشرطة احتاجوا إلى وقت أكثر من اللازم كى يفهموا اللعبة التى فهمتها العمة فى ثوان .. وحين نظروا للسماء كانت طائرة الهليكوبتر التى رسم عليها رأس المضحك ، تسلط أضواءها الساطعة عليهم وألقت عليهم مئات من أوراق اللعب .. الورقة التى تحمل صورة (الجوكر) دائمًا ..

ثم هوت فوق رءوسهم المندهشة لترات عديدة من سائل أخضر لزج .. سائل يصعب أن تزيله بالصابون والماء .. الحق إن المضحك لعب معهم لعبة كريهة قاسية ..

لكنه لم ينجح برغم كل شىء .. لو تذكرنا الهدف الوحيد لهذه العملية ..

وحين ابتعدت الطائرة فى الأفق مرت فوق بناية الشرطة العالية ، وسقط عليها شعار الوطواط .. لكن صاحب الشعار لم يأت .. ولن يأتى ..

* * *

8ـ وتحاول القطة ..

فى نقابة المجرمين هنئوا المضحك على عمليته بشدة ، لكنه فقد الكثير من ضحكته المجنونة المدوية .. بدا للمرة الأولى مكتئبًا إلى حد ما ..

وقال له البطريق وهو يمضغ سيجاره فى استمتاع :

ـ « هذا هو ما شعرت به بالضبط يوم انتصرت .. إن الوطواط مزعج لكن الحياة غير ممكنة من دونه .. لاقيمة لأية عملية لا تتضمن إهانة الوطواط وتدويخه .. »

وقال (جاك) السفاح بطريقته الخشنة التى تذكرك بأفلام (همفرى بوجارت) القديمة المليئة برجال العصابات :

ـ « لقد لعبت المباراة ببراعة يا مضحك ، لكنك لم تحرز أهدافًا .. »

هنا انطلق سوط يطير السيجار من فم (جاك) ، فنظر الجميع فى رعب إلى مصدر الهجوم ..

كانت المرأة القطة واقفة هناك .. وكانت فى أفضل حالاتها ..

يعرف قراء الوطواط أن المرأة القطة هى أشرس أعداء الوطواط لكنها أكثرهم جاذبية ..

وكعادة ظروف التحول التى تحدث كل ثانية فى (جوتام سيتى) ، كانت المرأة القطة فريسة محاولة قتل .. لكن القطط أنقذتها . وهكذا ـ كالعادة ـ تحولت إلى قطة آدمية .. صارت رشيقة لينة خفيفة الحركة كالقطط ، وصارت تصدر ذلك الفحيح الغاضب حين يضايقها أحد ، وصنعت لنفسها تلك الثياب الضيقة ذات المخالب فى اليدين ، ولبست ذلك القناع الذى لاتتبدى منه إلا عينان خضراوان قاتلتان تفتكان دون طلقات ..

ولما كانت تملك طباع القطط ورقتها وشراستها وتقلب مزاجها ، فإنها لاتخفى أنها تحب الوطواط وتجده أجدر الرجال بحبها .. لكنه حب ممزوج بالعداوة والكره ..

الحق إن القطة هى أعمق شخصيات الوطواط وأكثرها ثراءً لونيًا .. إن الشخصيات المسطحة هى القاعدة هنا ، فلا تجد الشرير إلا شرًا خالصًا ، والطيب خيرًا خالصًا ، لكن المرأة القطة هى الشخصية الوحيدة ثلاثية الأبعاد الجديرة بأن تجد مثلها فى الأدب العالمى .. شخصية متشابكة معقدة لا تعرف هل تميل إليها أو تكرهها كالجحيم ..

كانت تقف الآن فى نقابة المجرمين وتتسلى بفرقعة سوطها ..

قال المملون منهم ما لا داعى له :

ـ « من ؟ المرأة القطة هنا ؟ »

قالت وهى تتقدم فى ثبات لتقف فى مركز الاهتمام الذى كان البطريق والمضحك وسيد الأوهام يحتلونه :

ـ « مياوووو ! نعم يا حمقى .. من سواى يملك هذه المخالب ؟ »

ثم أشارت بطرف سوطها إلى المضحك الجالس :

ـ « سمعت كل ما تقولون باعتباركم من اللصوص معدومى الابتكار ، وخطر لى أن كل هذا مضحك .. »

ـ « من اللص عديم الابتكار ؟ »

قالها المضحك وهو يتأهب للنهوض انتقامًا لكرامته ، فدفعته فى صدره بمؤخرة السوط وقالت ساخرة :

ـ « فقط القطة تعرف كيف تجعل الوطواط يفقد صوابه .. ولسوف أثبت هذا لكم .. »

وفجأة تصلبت .. تشممت الهواء للحظة ثم هزت رأسها :

ـ « عجبًا ! أشم رائحة أنثى هنا ! بل أشم رائحة وطواط !! »

ارتجفت (عبير) من وراء قناعها السميك الذى يغلف الوجه بالكامل .. رائحة أنثى ووطواط ! إن حاسة شم هذه الشيطانة حادة جدًا .. بالفعل هنا توجد وطواطة تلبس ثياب رجل وليس تعرفها بعسير .. وبدأ عرقها يسيل ..

لكن الأمور بدأت تتحسن ، إذ أطلق البطريق سحابة كثيفة من الدخان جعلت شم أى شىء آخر عسيرًا .. لو كان هنا كلب شرطة لاختنق قبل أن يشم شيئًا ..

كانت هناك مشكلة مع القطة : إنها امرأة .. والنساء أدق ملاحظة وأذكى من الرجال لاشك فى هذا ، ولأسباب كهذه تكون فتاة التتابع فى السينما دائمًا فتاة .. فقط الفتاة يمكنها أن تتذكر إن كان السيجار فى يد البطل فى اللقطة السابقة مشتعلاً إلى نصفه أم إلى ثلثه .. إن كان كأس البطلة فارغًا أم مليئًا فى اللقطة السابقة .. إن كان هذا هو (جاك) السفاح أم الوطواطة تقلده مستعملة تنكرًا بارعًا ..

قالت القطة وقد بدا أنها نسيت ما كانت تفكر فيه :

ـ « أرجو أن تشاهدوا التلفزيون اليوم فى السابعة مساءً .. سيكون المشهد جميلاً .. »

ثم أصدرت فحيحًا مرعبًا ، وابتعدت متأودة فى مشيتها ..

* * *

كما هى العادة لم تتخذ الوطواطة أى إجراء .. فقط قررت أن ترى هذه المشاهد وهى عند الوطواط ..

وجاءت السابعة مساءً لتجدها فى كهف الوطواط الموجود أسفل بيته .. كان كالعادة يقضى الوقت مهمومًا شارد الذهن يستعيد لقطات تظهره حين كان أبًا وكان له ابن ، وقد شعرت (عبير) بالكثير من التقزز .. إنها تكره الذين يعتبرون همومهم خارقة لم يعانيها أحد سواهم على ظهر البسيطة .. لا بأس من الحزن .. بعض الحزن .. الكثير من الحزن .. لكن من الصعب أن تتحول الحياة كلها إلى حزن ..

كان هناك جهاز تلفزيون آخر تملأ شاشته جدارًا كاملاً .. وكان ينقل أحداث المسلسل اليومى ، عندما انقطع الإرسال ، وكانت هى تتوقع هذا وإن لم تعرف التفاصيل بعد ..

الآن ترى حديقة حيوان المدينة ..

هكذا أمكنها أن تفهم القصة التالية ..

لقد وصلت إلى الحديقة مجموعة نادرة من النمور البيضاء ، وهذه تساوى ثروة فى حد ذاتها .. ماذا تسرق القطة إن لم يكن قططًا نادرة ؟

على الشاشة ظهر المذيع المبهوت ، وراح يقول وهو يرتجف :

ـ « النمور البيضاء قد أطلق سراحها وهى حرة طليقة فى الحديقة .. ويبدو أن عددًا من الحراس محاصر بالداخل .. إن هذه النمور شرسة جدًا .. نحن ننتظر قدوم قوات الطوارىء وربما .. »

ونظر إلى السماء الغائمة كالعادة وارتفعت الكاميرا لترينا شعار الوطواط مرسومًا على الغيوم :

ـ « وربما يأتى الوطواط ! »

ـ « أأأأأأ ! »

كانت هذه من الوطـواط .. لقد جلس يشاهد هذا وكأنما الأمر لايعنيه ، ثم شرب جرعة كبيرة من علبة المياه الغازية وتجشأ .. تجشأ كالقردة ..

فكرت الوطواطة : ربما كان من الخير لرابطة العدل أن تشطب هذا الخامل معدوم الرجاء ..

وفى اللحظة التالية هبطت الكاميرا لترينا عشرات النقاط السوداء الملتهبة تتطاير فى الهواء .. استغرق الجميع فترة لابأس بها كى يفهموا دلالات هذا المشهد .. إنها بالفعل وطاويط .. لكنها تحترق حية !

وقال المذيع المذعور :

ـ « هناك من أحرق الوطاويط ثم أطلق سراحها !! هذه إهانة متعمدة مقصودة للوطواط !! »

صاحت (عبير) / (الوطواطة) وهى تشير إلى الشاشة :

ـ « هل ترى ؟ هذه المرأة تسخر منك !! »

نظر لها مليًا ثم قال فى هدوء :

ـ « من أدراك أنها امرأة ؟ »

يا للشرود !! يصعب عليها أن تفكر بدقة وحذر ..
قالت وهي تدفن عينيها في الشاشة :

ـ « الأمر هين .. من الواضح أن القطـة هـى من يهتم بسرقة النمور ! »

هز رأسه وعاد يواصل تأمل الشاشة فى استمتاع حقيقى كأنه يشاهد فيلم السهرة ..

وفى اللحظة التالية انفتحت أبواب الحديقة وظهر أول النمور .. كان يقظًا وثَّابًا يتمتع بحيوية هائلة ، وجواره تمشى المرأة القط فى تـؤدة وهـى تدلّلـه وتخاطبـه .. إنها لم تفقد سيطرتها على عائلة السنوريات كما هـو واضح ..

طبعًا أطلق المراسل صيحة رعب ، واختـل تـوازن الكاميرا فهبطت إلى الأرض .. على حين دوى صوت صراخ مريع .. ثم انقطع الإرسال ..

قال الوطواط وهو يريح قدميه على مقعد أمامه :

ـ « هكذا النمور .. ثقى أنها لا تهتم كثيرًا بسترة المراسلين الصحفيين .. إنها تلتهمهم كسواهم ! »

فى غيظ صاحت :

ـ « ألا تشعر بخجل ؟ »

ـ « طبعًا نعم .. لا أشعر بشىء .. إننـى اليـوم مواطن عـادى يراقب كل هذا فى رعب وضيق .. ويتساءل أين رجال الشرطة ؟ أين الوطواط ؟ »

ـ « أنت الوطواط ! »

ـ « لا أظن .. لقد كففت عن أن أكون شـخصًا آخر .. »

وفى عالم الواقع فرغت الوطواطة من جعل النمور تصعد إلى صندوق سيارة نقل .. ثم وثبت إلى جـوار السائق ، وابتعدت السيارة بحمولتها الثمينة بينما وصلت سيارات شـرطة (جوتـام) لتحاصر الحديقة الفارغة .. فى (جوتام) سيتى يصل رجـال الشرطة بعد أجهزة الإعلام ..

كانت سرقة نظيفة أنيقة وتمت بسرعة مذهلة ..

لكنها لم تحقق أى شىء من كل ما أرادته .. إن الوطواط لم يحرك ساكنًا ..

(عبير) هى التى تحركت .. لقد وجدت أنه لاجدوى من أن يتحمس الوطواط ، ووجدت أنه لابأس من القبض على القطة هذه المرة .. فهى استنفدت فرصتها .. ولابد من إعادة بعض الهيبة للقانون فى هذه المدينة ..

نهضت وقالت للرجل الجالس يتجشأ :

- « سلام .. سأتولى الأمر بنفسى .. »

- « لا بأس .. لكن كونى حذرة .. إن عشرة نمور ليست بالخصم الهين .. »

- « ومن قال لك إنها عشرة ؟ »

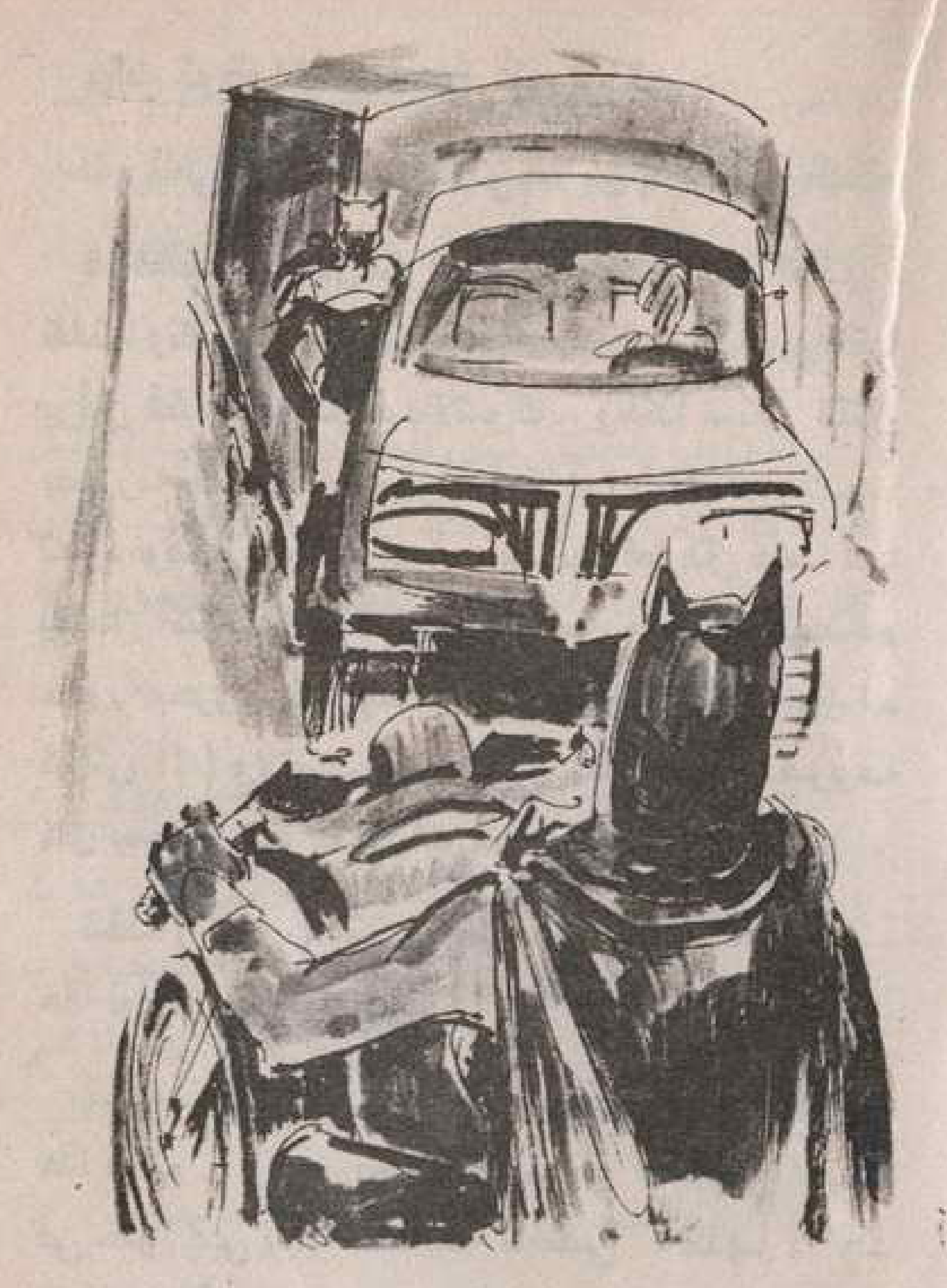
- « إننى أطالع الصحف بدقة .. هل نسيت هذا ؟ »

غادرت الكهف مسرعة لتركب دراجتها النارية ، ولم تمر دقيقة إلا وكانت فى الطريق تنهب الأرض نحو المكان الذى قدرت أن سيارة القطة مشت فيه ..

هاهى ذى السيارة قد اجتازت الجسر .. وبداخلها عشرة نمور لا بل أحد عشر .. النمر الأخير هو أخطرها ..

الجزء السهل من العملية هو إيقاف السيارة .. انطلقت الوطواطة بأسرع ما استطاعت حتى صارت بمحاذاة الشاحنة ، ثم تجاوزتها وضغطت على زر فى دراجتها البخارية ، عندها انتثرت دبابيس الوطواط عبر الطريق .. دبابيس يمكنها أن تثقب أية عجلة مهما كانت غليظة ..

رأى السائق المشهد ، فشد كوابح السيارة ، وانزلقت العجلات على الأسفلت عشرين مترًا ثم توقفت ..



تتوقف السيارة ، وبعد ثوان تظهر القطة على الباب فى خصرها ..

تتوقف السيارة ، وبعد ثوان تظهر القطة على الباب ، ويدها فى خصرها .. رأت الوطواطة متوقفة على دراجتها البخارية على بعد أمتار وصدرها يعلو ويهبط من فرط انفعال ..

قالت وهى تهتز ضحكًا :

ـ « آه !! كان يجب أن أعرف أن هذه الطفلة مازالت موجودة .. إن عروضها المثيرة للشفقة تضايقنى كثيرًا .. »

ثم أرسلت لها قبلة فى الهواء وهتفت :

ـ « يا بنتى لا تحاولى اللعب بالنار .. إنها تحرق الأطفال .. هذه أشياء للكبار ! »

كانت (عبير) تخشاها بالفعل ، والأغرب أن القطة الحمقاء كانت تعتقد أن الوطواطة تحب الوطواط وتحاول انتزاعه منها .. وهو شىء لن تغفره لها أبدًا برغم أنه غير صحيح .. الخلاصة أنك لو وضعت امرأتين فى مكان واحد لكان الصراع مخيفًا يشيب له رأس العمالقة من الرجال .. لاتوجد فى هذا القتال قواعد ، والهدف الوحيد هو إحداث أكبر قدر من الضرر النفسى والمادى لدى الخصم ..

قالت الوطواطة ضاغطة على أسنانها :

- « هلمى أيتها الأفعى وقاتلينى بدلاً من إطلاق سمومك ! »

ثم قذفتها بالباتارانج المرتدة ، لكن هذه الأخيرة تفادتها وتكورت حول نفسها كقطة .. بالضبط قطة ، وقذفتها برأس قط صغير مغلف بالأشواك .. وهكذا استمر القتال بصورته المعروفة المألوفة لدى قراء تلك المجلات .. تابلوه فوضوى وعبارات تحدٍ يتبادلها الطرفان كأنما هما يتكلمان أكثر مما يتقاتلان .. لابد من مؤثرات التصادم مكتوبة بحروف كبيرة متعرجة (بوم ! - طراخ ! بان ! - كراش !!) والغريب أن مسلسل التلفزيون المعروف كان يضيف هذه المؤثرات المكتوبة على الكادرات ..

تلقت (عبير) الكثير من الخدوش والعضات .. حقًا لم يكن القتال سهلاً ..

إنها ستطلق النمور حالاً .. (عبير) تعرف هذا .. هذا محتم .. وترى بطرف عينها أن السائق يمد يده فى حذر إلى باب الشاحنة الخلفى .. لكنها لا تجد الوقت الكافى لمنعه ..

فجرت القطة شيئًا ما أخرجته من حزامها ، وحزام القطة كحزام الوطواطة ملىء بالمفاجآت .. كان هذا الذى انفجر عبارة عن غاز كثيف .. غاز حاجب للرؤية لا أكثر ..

ووسط الدخان تسمعها (عبير) تقول :

- « للأسف يا طفلتى ليس لدى الوقت لألعاب الأطفال هذه .. لقد أردت أن ألقى شخصًا ما لكنه لم يأت ، والآن على أن انصرف .. أنا لم أعد بحاجة إلى هذه النمور .. »

وسمعتها (عبير) تبتعد وهى تصيح :

- « يمكنك أخذها وإعادتها للشرطة !! ميا ووو !! »

وسمعت (عبير) هدير الشاحنة وأدركت أنها دارت حول الطريق لتهشم السياج على جانبه متفادية المسامير .. ثم بدأ الدخان ينقشع لتجد (عبير) أنها واقفة وحدها فى الطريق العام ترى الجسر لكنها لاتقدر على بلوغه ..

واقفة وأمامها عشرة نمور بيضاء غاضبة ..

* * *

9- ألغاز..

مشكلة النمور هى أنها غير مولعة بالمناقشة والكلام المنطقى ..

كانت (عبير) تعتقد أن اللباقة يمكن أن تخرجها من أى موقف .. إن المفاوضات تصلح -كما تعتقد- للتفاهم مع النمور الغاضبة .. لكن النمور ليست من هذا الطراز ..

وثب عليها النمر الأول وهو يزأر ذلك الزئير المنذر بالويل ، فطارت فى الهواء فقط لتسقط فوق النمر الثانى الذى مزق قطعة من عباءتها .. لكنها طارت من جديد .. بينما النمر الثالث يشب على قدميه الخلفيتين .. ليصير أطول وينال منها .. إن الوضع حرج ..

صوبت قفازها نحو جانب الجسر ، وأطلقت قذيفة الوطواط .. طبعًا لن تعمل .. لا .. لقد عملت وهذا غريب .. تشيك .. شريك .. كلانك !

إن هذه القذيفة هى خطاف موصل بحبل مطاط له شكل وطواط فارد جناحيه ، ويمكنه التشبث بأى حافة بارزة .. وسرعان ماتشبثت القذيفة بقضبان الجسر (هذا يفسر التشيك والشريك) ، ثم قصر الحبل لتجد أنها تطير فى الهواء فوق مخالب النمور وأنيابها (وهذا يفسر الكلانك الأخيرة) .. يبدو أنها أفلتت بصعوبة من ألف موت كما يحدث فى أفلام الرسوم المتحركة ، فى النهاية وقفت على روافد الجسر المعدنية تلهث وتتنفس الصعداء قائلة لنفسها كمايقول الأمريكيون :

- « كان هذا قريبًا جدًا !! »

أخيرًا سمعت سرينات عربات الشرطة ، ومعهم عربات حديقة الحيوان .. كانت النمور تحتشد على الطريق وهى تزأر وتضرب بأكفها خصومًا لم يظهروا بعد ..

سيكون هناك الكثير من الصخب .. الكثير من الصراخ .. عشرات من الطلقات المخدرة التى تحمل ريشة فى مؤخراتها ..

ولكن الأمر سينتهى فى النهاية وتبقى المشكلة الأساسية ..

* * *

فى العاشرة مساءً استدعى النـاس رجال الشرطة لأن شابًا كان يقوم بعمل غريب ..

لقد كان يمشى فى متجر كبير فى (جوتام سيتى) .. وفجأة وقف أمام أكبر مرآة فى المكان .. راح يرمـق صورته لمدة ربع ساعة فـى انبهـار شديد ، ثـم راح يقبل صورته فى هيام وإعجاب ..

فى البدء تجاهله رواد المحل وعمالـه ، ثـم بدءوا يرتابون فى أمره . هذا مجنون لاشك فيه ..

رفع أحدهم سماعة الهاتف وطلب الشرطة .. حتـى هذه اللحظة جنون الفتى غير ذى خطر ، لكن من يضمـن ما قد يحدث بعد هذا ؟ إن المجانين الذين يطعنـون الناس بعنق زجاجة مهشمة ليسوا نادرى الوجود ..

وجاء رجال الشرطة .. هذا أمر يمكنهـم القيام بـه دون استدعاء الوطواط .. قبضوا على الفتى ..

وفى المخفر بدا لهم مجرد شاب مهذب .. لاتلوح عليه أمارات الجنون .. وحين سألوه عما فعل قال لهم فى ضيق :

ـ « لم أسمع أن القانون يحرم أن يقبل المـرء صورته فى المرآة .. »

هذا حق .. لم يحـرم أحد مـا قـام بـه قط .. لكنـه تصرف غير طبيعى .. ولم يكن أمامهم من حل سوى احتجازه إلى أن يقوم طبيبهم بفحصه ..

* * *

فى التاسعة صباحًا اتجهت فتاة شابة إلى متجر الأسطوانات بـالبلدة ، وقـد وجدهـا البـائع متلهفـة ترتجـف رعبًا وتوتـرًا ، وطلبت منـه أن يبيعها كـل أغانى وموسيقا (البلوز) التى لديـه فـى المتجر .. إن (البلوز) ـ ومعناها كذلك الأحزان ـ هى موسيقا ابتكرها الزنوج حين جاءوا إلى أمريكا ، وكلها حنين إلى إفريقيـا الوطن الأم .. إنهـا عبارة عن نياط قلب يتمزق .. وفيما بعد دخلتها معان دينيـة مسيحية ، فصـار لها طابع معين لا تخطئه الأذن .. اليوم اختلفت مواضـع أغانى (البلوز) لكنها ما زالت تحتفظ بنفس الطـابع الحزين الأليم ..

كانت الفتاة متلهفة جدًا ، وابتاعت كل ما وجدته لدى المتجر .. وهو عدد من الأسطوانات أثار ذعر البائع .. كما أنها دفعت نقدًا مبلغًا فلكيًّا ..

كانت الواقعة غريبة إلى حد أنه لم يدر كيف ولالماذا رفع سماعة الهاتف وأبلغ الشرطة ..

من حق الفتاة أن تعشق أغانى (البلوز) إلى هذا الحد ، لكن من حق البائع أن يفهم السبب .. لكن رجال الشرطة اتهموه بأنه رائق البال ، وأن عليه أن يحمد اللّٰه لأنه حقق هذه الصفقة ولما ينتصف النهار بعد ..

* * *

جاء اليوم التاسع من الشهر ..

وكانت (عبير) هناك فى ثياب الوطواطة طبعًا ..

لماذا كانت هناك ؟ لأنها تعرف أن كل شىء غريب يحمل وراءه لغزًا ما ، والألغاز هى مهنة رجل الألغاز عدو الوطواط العريق .. هذا اللص المقنع شديد الذكاء ، الذى يلبس حلة ملئت بعلامات الاستفهام ،

والذى يعانى من عقدة كامنة فيه .. إنه لا يستطيع القيام بأية عملية سطو ما لم يبعثر كثيرًا من الألغاز قبلها .. هذه الألغاز لو استطعت حلها تجعلك تعرف مقدمًا أين ومتى تقع العملية التالية ..

غالبًا ما كان الوطواط ينجح فى حل اللغز ، وغالبًا ما كان ينتظر رجل الألغاز فى مكان العملية ليقبض عليه (فى الجرم المشهود) على حد تعبير المجلات لبنانية الترجمة .. سبب هذا عقدة لرجل الألغاز ، وراح يحاول أن يصعب ألغازه ، لكنه لم ينجح قط فى التخلص منها .. إنها عادة لم يعد يستطيع السرقة من دونها ..

الآن كانت (عبير) قد قرأت محاضر الشرطة وخمنت ما يلى :

١ ـ الشاب الذى يقبل نفسه فى المرآة .. يشير إلى (ناركيسوس) أو (نرجس) بطل الأسطورة الإغريقية الذى رأى صورته فى الماء فهام بها حبًا .. وراح يحاول أن يقبلها لكنها كانت تتلاشى كلما لامس الماء بشفتيه .. أضناه الهوى والجوى والنوى حتى إنه انتحر ، ومن جثته نبتت شجيرة (نرجس) .. إذن هذه القصة تشير إلى (نرجس) ..

٢ ـ الفتاة التى اشترت شرائط (البلوز) .. ما معناها ؟ لو فكرنا بطريقة رجل لتذكرنا أن لفظة (Blue) لاتعنى فقط الحزن ، بل تعنى كذلك اللون الأزرق .. هناك شىء أزرق فى القصة ..

٣ ـ هنا نتذكر ـ كما يعرف القارئ ـ أن متحف المدينة يعرض جوهرة نادرة واردة من نيبال اسمها (النرجسة الزرقاء) .. وثمنها أعلى من أن تتم كتابة أرقامه فى سطر واحد ..

٤ ـ متى تقع الجريمة ؟ حادثتان وقعت واحدة منهما فى العاشرة مساءً والأخرى فى التاسعة صباحًا .. هذا يشير إلى الساعة العاشرة من اليوم التاسع من الشهر ، أو الساعة التاسعة من صباح اليوم الاثنين والعشرين من الشهر .. طبعًا لا يمكن السطو على متحف فى التاسعة صباحًا ، أو هذا لم يحدث حتى اليوم .. هذا منطقى وواضح كالشمس ..

ولأنها تعرف الوطواط جيدًا فهى تعرف أنه أول من سجل اللغز ..

هى أيضًا حلت اللغز بسهولة نسبية ، وكان عليها أن تتجه إلى متحف المدينة .. تقذف إحدى قذائفها الخطافية إلى أعلى ثم تتسلق إلى السطح .. إن هذه المخلوقات التى تعج بها (دى سى كوميكس) لاتشعر بالمرتفعات على الإطلاق ، ولفظة (أكروفوبيا) لاوجود لها فى قاموسهم ..

تصعد إلى السطح لتنام على بطنها فوق الزجاج الذى يطل على القاعة الرئيسية ، ووسط القاعة ترى بوضوح تام تلك النرجسة الثمينة كأنها زهرة تنتظر القطاف .. حولها كاميرات وأسلحة إلكترونية معدة لإطلاق الرصاص لدى أى استشعار .. وحولها ثلاث طبقات من الزجاج المقوى ..

لكنها تعرف ..

هذا كله لن يعوق رجل الألغاز .. لاشىء يعوق هذا الرجل إلا الضرب .. وهى ـ بعون الله ـ ستضربه بعنف .. لقد انتهى زمن تدخل الوطواط ولم يعد أمامها إلا القيام بواجبها كما كانت ..

فى العاشرة مساءً بالضبط رأته .. رأت ثيابه المليئة بعلامات الاستفهام من أعلى وهو يخترق الحواجز حاملاً حقيبة معقدة مليئة بأجهزة إلكترونية .. هكذا عطل الأسلحة والكاميرات .. لابد أن الحراس نائمون أو ماتوا .. لابد أن التيار انقطع .. لابد أن العدالة نائمة .. لابد أن ....

هاهو ذا يمد يده وينزع الجوهرة من مكانها .. ولكنه أحمق .. كيف يتوقع أن يعرف الوطواط بهذه الجريمة ؟ لو كان يريده أن يأتى له فعليه أن يمارس عمله بنوع من الاستعراضية والوضوح .. ثم قدرت أنه على الأرجح يصور ما يقوم به ، وربما يعرضه فى التلفزيون أو فى نقابة الإجرام ..

هنا ظهر الوطواط فى الكادر !

★ ★ ★

لم تصدق ما تراه لكنه كان حقيقيًا ..

إذن وصلت ألغاز الرجل إلى الوطواط ، وكما توقعت قام بحلها ..

الجديد هنا أنه جاء بالفعل .. كان هذا أقوى منه .. لقد صمد كثيرًا جدًا لكنه لم يتحمل أن يحل لغزًا ولا يتدخل ..

واستطاعت أن تسمع بصعوبة رجل الألغاز يصيح :

ـ « أنت هنا يا وطواط !! إذن استطعت أن تحل ألغازى !! »

قال الوطواط وهو يكور قبضته :

ـ « طبعًا يا أحمق .. كان هذا من أسهل ألغازك وأبسطها .. وكان من الأحكم لو التزمت الصمت .. »

ـ « إن لى الشرف أنك تخليت عن عزلتك من أجلى .. »

ـ « إن إغراء توجيه اللكمات لك قد شفانى من اكتئابى .. »

هنا اندفع رجل الألغاز يلقى أسلحته على الوطواط .. إن سلاحه الدائم هو علامات استفهام متفجرة مرعبة تناثرت حول الوطواط كالأرز حين ينثرونه حول العروسين فى الغرب ..

راح الوطـواط الآدمـى يتواثـب ثـم قـام بحركـة بهلوانية ضرب بها ذقن خصمه .. حسن .. كما قلت ألف مرة لا داعِى لوصف الشجار .. الخلاصـة أن الوطواط كـان يتمتـع بصحـة جيدة ، وقد أبلـى بـلاء حسنًا .. حتى .... آى !

حتى قذفه رجل الألغاز بقذيفـة مكهربـة جعلتـه يصرخ ثم يسقط على الأرض محطم العظام ..

الحقيقة أن الوطواط لم يستعد لياقته كاملة بعد ..

وفكرت (عبير) أن عليها النزول لتساعد بدورها فى قتال رجل الألغاز ، الذى بدا أنه ولى الأدبار .. لكن الزجاج الذى تنام عليه كان أسرع من قرارها .. فجأة بدأ شرخ يسرى فيه كالوباء .. وتفرع الشرخ من تحت جسـدها ، ثم سمعت الصوت الكريه للزجاج المحطم المتناثر ..

كـان أول مـا تحرص عليه وهى تسقط ألا تـؤذى عينيها .. لا مشكلة فى السقوط من ارتفاع عشرة أمتار ، لكن المشكلة هى الزجاج ..

وأخيرًا وجدت نفسها راقدة على الأرض وسـط شظايا الزجاج ، تغطى وجهها بكفيها ، وتـأمل ألا تهوى قطعة حادة لتفصل عنقها عن جسدها ..

لم يستغرق الأمر كثيرًا ..

أخيرًا استطاعت أن تنهض ، وكان ما أثار ذهولها أن الوطـواط لم يعد هنـا .. لقد لحق برجل الألغاز .. إنه كعهدها به صلب قوى لا يقهر بسهولة ..

لقد عاد !!

* * *

10 ـ ثم جاء الصقيع !

ـ « لأنه رجل طيب لطيف .. لأنه رجل طيب لطيف .. ولا أحد ينكر هذا .. »

راحت الأغنية تتردد فى نقابة المجرمين ، ثم جاءت الكعكة التى ترتفع عن الأرض مترين ، وسرعان ماخرجت من أعلاها راقصة .. ودوت الموسيقا وتبادل المجرمون التهانى ..

وحين حمل سيد الأوهام الدرع ليقدمه إلى رجل الألغاز ، صفق الجميع بحرارة ، وتظاهر البطريق والمضحك بعدم المبالاة .. الآن يحمل رجل الألغاز الرسمى (لص القرن) .. وكان من نصيبه كل الغنائم التى ظفر بها زملاؤه وهى لم تكن كثيرة لأن البطريق تخلص من غنائمه ، أما المرأة القطة فكانت غنائمها عشرة نمور بيضاء وماكان أحد ليرحب بها على كل حال لو لم تتخلص منها ..

سأله (جاك) السفاح وهو يشعل له سيجارًا :

ـ «كيف استطعت أن تزحزح الحجر من موضعه ؟»

قال رجل الألغاز فى ثقة الخبراء :

ـ « كنت أعرف أن الوطواط لو حل ألغازى ، فلن يستطيع ألا يجعلنى أعرف .. لقد راهنت على نكاته وكان عليه أن يبرهن لى على أنه كسب الرهان .. إن هذا أقوى منه ، ولو لم يأت لكان هذا خارقًا لطباع البشر .. »

كانت (عبير) هى (جاك) طبعًا ، وقد خطر لها أن كلام الرجل على شىء من المنطق .. أرأيت الذى يسمع نكتة سمعها من قبل ؟ إن قبضة شيطانية تعتصر روحه وعذاب أسطورى يمزقه .. فى النهاية لا يتحمل أكثر ويصرخ : سمعتها .. سمعتها !!

هكذا الوطواط .. لو حل اللغز فلن يقاوم أن يعرف الآخرون ذلك ..

كان الفيلم الذى صورته كاميرات المتحف يعرض على الشاشة الكبيرة للمرة العاشرة .. وكان اللصوص يشعرون بالابتهاج لكنهم كانوا كذلك ممزقين من الحيرة .. بم يحتفلون ؟ بإعادة ألد عدو لهم من إجازته المفتوحة الاختيارية ؟ هل من الصواب أن يحتفلوا بأن أيامهم صارت قصيرة ؟

غارقين فى هذه الأفكار شعروا ببرد شديد .. ثم سمعوا صوتًا باردًا بدوره يقول :

ـ « أهنئك يا رجل الألغاز !! »

كان القادم معروفًا لهم جميعًا وهو ـ كالعادة ـ أخطر أعداء الوطواط .. كل واحد من أعداء الوطواط هو أخطرهم ..

القادم هو السيد صفر أو رجل الصقيع .. الصقييييع كما يحب أن يسمى نفسه ، وقد اشتهر جدًا حين قام (أرنولد شوارزنجر) بأداء دوره فى فيلم (باتمان وروبين) لكن قراء المجلة يعرفونه من الستينات ..

السيد صفر هو لص أصيب بمرض خطير كاد يودى به إلى القبر ، لهذا كان لابد للأطباء من تجميده حيًا فى درجة حرارة صفر مئوية .. ولهذا يلبس بذلة كبذلات رواد الفضاء هى فى الحقيقة ثلاجة كاملة ، ويعيش فى كهف ثلجى ، وكل شىء فى حياته متجمد .. حتى أسلحته تجمد من يقف فى طريقها .. لديه بندقية ثلوج وقنبلة ثلوج إلخ ..

كان مخيفًا وكان اللصوص يعملون له ألف حساب .. لايعرفون هل البرد الذى يبعثه من حوله برد خوف أم برد هذه الثلاجة الحية التى يحيا فيها ..

كما أنه كان غير مولع بأن يظهر فى أماكن غير ثلجية ، بمعنى أنه كان غير اجتماعى على الإطلاق ..

الآن هو هنا وهو يكلم رجل الألغاز بلهجة هى أكثر برودة من الثلج نفسه .. فما معنى هذا ؟

قال رجل الصقيع وهو ينظر لرجل الألغاز من وراء نافذة خوذته :

ـ « يقول حراس المتحف إن هناك اثنين اقتحما المكان وخدراهم بطلقات لها شكل علامات الاستفهام .. »

نظر رجل الألغاز إلى من حوله وقال :

ـ « الأمر سهل .. كنت أنا والوطواط هناك ، وأنتم رأيتم الصور التى التقطتها كاميرات المتحف وهى ذات الصور التى تراها الشرطة الآن .. »

- « اثنان دخلا فى الآن ذاته !! لم يتبعك الوطواط بل دخل معك !! »

قال سيد الأوهام وهو يمعن التفكير :

- « يا إلهى .. لو كان ما أفهمه صحيحًا فأنت تريد القول إن .. »

قال رجل الصقيع بصوته المكتوم من وراء الخوذة :

- «حراس المتحف وجدوا القذائف المتفجرة والمكهربة التى ألقاها رجل الألغاز على الوطواط .. كلها كانت دمى كلعب الأطفال تحدث فرقعة لكنها لا تضر .. »

- « رباه !! »

- « هنا يأتى الجزء المهم .. لقد قام رجالى بتحليل الصوت .. وهاهى ذى النتيجة .. »

وفرقع بيده فهرع أحد رجاله يرفع أمام العيون لوحة رسمت عليها موجات .. الموجات الأولى التى ترونها فى نصف اللوحة العلوى تمثل صوت الوطواط القديم ، والثانية تمثل صوت الوطواط الجديد ..

- «كما ترون .. لا يجب أن تكون خبير سمعيات كى ترى الاختلاف الكلى للموجات .. هذا صوت واحد يقلد صوت الوطواط جيدًا لكن لا يمكن خداع الفيزياء مهما كنت بارعًا .. »

ثم وقف بقامته الفارعة المهيبة ونظر إلى رجل الألغاز وقال :

- « الأمر واضح .. لقد حاول رجل الألغاز خداعنا ! لم يأت الوطواط ببساطة وإنما أتى ممثل ! »

النظرات فى كل صوب تنهمر على وجه رجل الألغاز ، ولم يكن من داع لأسئلة سخيفة على غرار : أحقًا ؟ فقد كانت الإجابة على وجهه تشى بالحقيقة .. هو فعلها طمعًا فى المجد ، وبعد هذا يمكنه الزعم أن الوطواط عاد لعزلته .. إن كون الوطواط قد خرج من عزلته لأجلك أنت فقط لهو شرف عظيم .. شرف يضعك فى موضع متميز بين مجرمى المدينة والعالم ..

كان المخادع الأكبر قد نفذ هذه الخدعة مع بهلوان فى السيرك له قامة الوطواط وربما صوته .. ولهذا لم تر (عبير) الوطواط على الأرض حين سقطت من عل ..

أما الآن فقد كان رجل الألغاز عمليًا أكثر من اللازم .. ألقى بالدرع والشهادة وولى الأدبار .. لن يتصدى له أحد ، لكن العار سيلاحقه ربما للأبد ..

بوم !

لن يلاحقه للأبد .. هذا صوت طلقة رصاص .. طبعًا لم يقتله أحد من الحراس ومعنى هذا أنه انتحر بمجرد أن توارى عن العيون .. بعض اللصوص مرهف الحس حقًا ..

لم يتحرك أحد ، وقال سيد الأوهام وهو يتأمل الصورة على شاشة التلفزيون :

ـ « أرسلوا من يتخلص من الجثة فى الحمض .. »

طبعًا .. لابد من مرجل حمض .. لاتنس أننا فى نقابة المجرمين هنا ..

قال مستر (صفر) وهو يضع بندقية الصقيع على كتفه :

ـ « أنا سأنجح فيما فشل به الأغبياء الآخرون .. »

* * *

هذه المرة كانت فى زيارة الوطواط ، لكن فى شخصيتها الطبيعية كفتاة حسناء بلهاء تدعى (بيتى) معجبة بالمليونير (بروس واين) وتحاول أن تظفر به عريسًا .. هنا نجد تجربة أحادية التعمية : هى تعرف سره وهو لايعرف .. والسبب أن اختلاف الصوت والمساحيق الكثيفة ، بل والتبدل الكامل فى الشخصية جعله لا يعرف من يخاطب ..

كان المليونير الوسيم جالسًا فى قاعة الجلوس الرهيبة التى يبلغ طولها طول شارعك .. والتى ازدانت جدرانها برعوس الوعول والأسود والأيائل .. كان يرتدى الروب ويضع ساقًا على ساق أمام شاشة التلفزيون الجدارية العملاقة ، بينما عمته (هارييت) جالسة تحيك سترة من التريكو ..

العمة معجبة بالفتاة وتتمنى أن يتزوجها ابن أخيها .. لكن المليونير العابث لايهتم بهذه الأمور ، والأغرب أن الاكتئاب صار يسيطر على كل حياته بعدما اختفى (ديك)

ابنه بالتبنى منذ بضعة أشهر .. إنه لم يعد يمرح ولا يتكلم إلا بالقطارة .. نعم ولا فقط ..

على الشاشة ظهرت المذيعة تعلن عن شريط وصل إلى التلفزيون من رجل الصقيع أو المستر صفر ..

للحظة توقف المليونير عن التنفس وراح يرمق الشاشة ، وكانت الوطواطة تعرف الجهد الذى يبذله فى التمثيل كى يبدو غير مبال ..

الصور التى ظهرت كانت رهيبة ..

كان (روبين) هناك فى أسوأ حال ، مقيدًا إلى الجدار فى وضع النسر المحلق .. لحسن الحظ كان القناع على وجهه .. ثم ظهر رجل الصقيع أو السيد صفر .. كان يلبس بذلته الكاملة ، وكان الوطواط قد خمن أنه هو من سيظهر لأن الجليد كان يغلف كل شىء فى الصورة ، كأنما هى مأخوذة داخل فريزر ثلاجتك ..

قال رجل الصقيع بصوته المكتوم البارد وهو يواجه الكاميرا :

- « نعم ياوطواط .. هذا هو (روبين) .. صديقك الحميم .. إنه حى .. لقد انتشله رجالى من البحر ، وأبقيناه كل هذا الوقت فى الأسر من أجل مساومة كهذه التى أعرضها عليك .. »

وثب (واين) إلى الأمام وراح يتنفس بصعوبة ، بينما قالت العمة فى برود :

- « هذه خدعة لاشك فيها .. (روبين) مات من زمن .. هل يحسبون الوطواط بهذه السذاجة ؟ »

طبعًا لا .. لكن مجرد رؤية المشهد جعلت الوطواط داخله يصحو .. الأب والصديق وزميل المهنة يشعر بشىء غير مريح ..

على الشاشة قال رجل الصقيع :

- « أمام الوطواط عشر ساعات ليقرر .. إما أن يأتى إلى هنا ومعه عشرة ملايين من الدولارات ، وإما أن نقوم بتحويل هذا الصبى إلى قطعة من الثلج ، وهذا لن يستغرق أكثر من ربع ساعة .. »



قال رجل الصقيع بصوته المكتوم البارد وهو يواجه الكاميرا :
ـ «نعم يا وطواط .. هذا هو (روبيه) ..

ازداد تنفس الوطواط صعوبة ، لكن (عبير) كانت تعرف أنه أذكى من هذا .. هذه هى الحيلة التى تفتق عنها عقل المستر صفر ، لكنها ليست بارعة جدًا إلى هذا الحد ..

قال رجل الصقيع :

ـ «سأقول للوطواط : فكر جيدًا .. لو لم تكن هذه خدعة فأنت تجازف بفقد (روبين) للمرة الثانية .. لن أفشى أسرارًا على الهواء لكنى أذكرك بكلمة واحدة : منديل من قماش الخيمة ! »

ـ « أوع ع ع ع ! »

كانت هذه من الوطواط الذى لم تتحمل معدته كل هذا فسد فمه ، ونهض وهو يضع كفه عليه .. قال شيئًا على غرار معذرة .. عسر هضم بسيط ..

ثم ركض مبتعدًا وهو يرتطم بقطع الأثاث فى طريقه ..

كان الأمر واضحًا الآن .. لقد أعطاه رجل الصقيع علامة لايمكن أن تعرفها مالم يكن (روبين) فى قبضتك فعلاً ، وهذا يعنى أن عليها الرحيل ، والتحول ثم العودة فى صورة الوطواطة كى تفهم منه ..

* * *

حين دخلت الكهف من مدخلـه السرى الخـارجى ، وجدت الوطواط يلبس ثيابه .. يضع الحذاءين فى قدميه .. يصلح من وضع القناع على رأسه .. كـانت الثياب قد ضاقت نـوعًا لأنه ازداد فى الوزن ، لكنـه حشر جسده بشكل ما ..

قالت له وهى تضع يديها فى خصرها :

- « هل ستصدق هذا الهراء ؟ »

قال دون أن ينظر للوراء :

- «منديل من قماش الخيمة .. هذا هو تذكـار (روبين) الخفى الذى بقـى لـه من أمـه .. لا أحد يعرف هذا التفصيل الدقيق .. إن (روبين) حى .. وهـو أسير لدى رجل الصقيع .. »

ارتجفت لـدى سماعها هذه المعلومـة .. لـو كـان رجل الصقيـع كاذبًـا فكيـف عـرف هـذا ؟ الجـواب المنطقى هو أن (روبين) حـى .. لقد لعب رجـل الصقيع لعبته ببراعة من البداية ..

- « وهل تعرف أين هو ؟ »

- « طبعًا .. قال إنه ينتظر أن أحضر لـه المـال .. كان يعرف أننــى سـأعرف كـل شـىء .. هـل لاحظت الفيلم جيدًا ؟ المكان مصنع ثلج بالتأكيد .. كل شـىء يدل على هـذا .. لا يوجد إلا مصنـع ثلـج قديـم علـى مسيرة ساعة بالسيارة من المدينة .. سيكون اللقـاء هناك .. »

فى حماسة هتفت :

- « سألحق بك .. »

- « لا .. هذه معركتى ولسوف أخوضها .. »

ثم رأى النظرة فى عينيها فعاد يكرر :

- « لا أريد أن تلحقى بى .. ليكن هذا مفهومًا .. »

كان يعرف وكانت تعرف أنه يعرف أنها لن تطيعـه .. ولكن ماذا بوسعه أن يفعل ؟ يقيدها بالحبال هنا ؟

وهكذا راقبته فى تعاسة وهو يكمل ارتداء ثيابه .. يتجه إلى عربة الوطواط السوداء التى تبدو كوطواط كبير .. وهى عربة لا تستغرق أكثر من خمس ثوان بين التوقف والاندفاع بسرعة ١٥٠ كيلو مترًا فى الساعة .. وتبعث وراءها سحابة من الدخان كأنما خرجت من سحابة .. ولها عدة مزايا أخرى لا يتسع الوقت لشرحها ..

هكذا بعد دقيقتين كانت تقف وحدها فى الكهف تقضم أظفارها ، وتتأمل صورة (روبين) على الشاشة للمرة الألف .. يجب أن تلحق بدراجتها البخارية قبل أن يبدأ الحفل بدونها ..

★ ★ ★

11 ـ عودة الوطواط ..

مصنع الثلج ..

(عبير) لم تر قط أى مصنع ثلج فى حياتها لكنها تخيلت الأمر كما يجب .. لابد أن هناك روافد وسقالات من الخشب ، والكثير من الخطاطيف المدلاة من السقف .. لابد من عربات يدوية .. الكثير منها .. لابد من منحدرات مهمتها أن تحمل ألواح الثلج إلى مستويات أخرى تحت .. لا بد من .. مصنع ثلج ! ماذا تتصورون ؟ ليتخيل كل منكم مصنع ثلجه الخاص ليوفر علىَّ عناء الوصف !

كان الظلام دامسًا حين تسللت إلى هناك زحفًا .. باستخدام قذيفة الوطواط الخطافية تسلقت إلى الطابق الثانى ..

إن الطوابق العليا تريحها لأنها تريها منظور عين الطائر .. إنه يشعرها بالأمان ..

الوطاويط تحلق كلما توغلت أكثر .. هذا فأل حسن !

الآن تقف هناك فى مكان ما من الطابق المظلم .. إنه يشبه (الصندرة) إلى حد ما ، ويمكنها أن تختلس النظر إلى مشهد بانورامى جميل تحتها تراه من بين شقوق الخشب .. من الغريب أن الإضاءة من تحتها ساطعة تمامًا .. (إضاءة أفراح) كما كان يحلو لها أن تصف ، قبل اختراع أفرح اليوم التى تحولت إلى ظلمة ودخان يعبث فيهما الليزر بلا هدف ..

البرد قاس حقًا لكنها ستتحمله .. معنى هذا البرد فى مصنع ثلج مهجور أنه مازال مطروقًا .. هناك من يبقيه باردًا ، وهى تعرف أن البرد هو أول ما يحييك فى مخابئ السيد صفر ، لكن الرجل لايقيم هنا طبعًا .. لابد من ثلاجة حقيقية لها باب سميك ، وبالداخل تجد الثلج فى كل مكان مع لوازم معيشة الرجل .. مكتبه .. جهاز تلفزيونه .. هاتفه .. أسلحته .. كل شىء .. هنا فقط يمكنه أن ينزع بذلته الواقية ويسترخى كأى واحد آخر ..

لكنها تسمع أزيزًا جوارها .. أزيزًا لا تدرى مصدره ..

تخرج كشاف الوطواط الرفيع وتديره من حولها فى حذر فترى .. ترى - على بعد خمسة أمتار - الكاميرا المثبتة التى راحت عدستها تختلس النظرات بوقاحة عبر شقوق الخشب إلى الطابق السفلى .. هذا مهم .. رجل الصقيع لايريد أن تفوت عدسات الكاميرا لقطات مواجهته مع الوطواط .. لو افترضنا أن هذه دائرة تلفزيونية مغلقة فلا شك أن الصورة منقولة بالبث المباشر إلى نقابة الإجرام .. هذا هو تفسير الإضاءة الساطعة إذن ..

معنى هذا أن الكاميرا ترى ..

هذا حق .. الآن هى تنام جوار الكاميرا رفيقتها فى التلصص وترى ما تراه .. إن (روبين) الفتى المدهش فى الطابق السفلى بالفعل .. عرفته من ثيابه

وقامته .. مصلوبًا فى الوضع الذى ظهر به فى شريط الفيديو .. إنه نائم على الأرجح أو ينتظر مصيره فى استسلام فلسفى ..

الآن يظهر رجل الصقيع ..

تراه من أعلى وهو يمشى إلى حيث الفتى المكبل معدوم الحيلة .. إنه يركع على ركبته .. يصوب شيئًا يشبه المترليوز نحو الفتى .. بالطبع هذا المترليوز يطلق جليدًا يجمد من يقف فى طريقه ..

يقول للفتى بصوت عال كى تسمعه الكاميرا :

- « الآن فلنر إن كان صاحبك الوطواط يعبأ بك حقًا .. لقد اقتربت لحظة النهاية بالنسبة لك ، وأجدنى آسفًا يا (روبين) .. لكن الحرب هى الحرب .. »

طبعًا هى لاترى وجه الفتى لكنها تتوقع ماتقوله عيناه ..

هنا صاح صائح :

- « قف ! كف عن هذا العبث ! »

ونظرت من أعلى باحثة عن قائل هذه الكلمات الذى لابد أنه الوطواط ، لكنها لم تره .. رأت بدلاً منه شخصًا نحيلاً يلبس قبعة من قش ، ووجهه عبارة عن قطعة قماش مجعدة .. إنه الفزاعة ! لقد صار هذا المكان مزدحمًا كمترو الأنفاق فى الثانية بعد الظهر .. ماذا أتى بالفزاعة إلى هذا السيرك ؟

تصلب سيد الصقيع ووقف يرمق محدثه فى كراهية ..

قال الفزاعة وهو يفرد ذراعيه على امتداد جذعه كالفزاعة الحقيقية :

- « هذا ليس (روبين) يابنى .. أنت نصبت هذا الفخ للوطواط ، بينما أنا الوحيد الذى يعرف أنه فخ .. لن تنتصر بحيلة كهذه .. أنا سأمنعك .. »

- بأى حق تخترق وكرى وتهذى بهذه السخافات ؟ »

ضاغطًا على حروفه قال الفزاعة :

ـ « لأن (روبين) قد مات .. رجالى قتلوه بأنفسهم .. أنا رأيت جثته الممزقة بعينى .. والآن حان الوقت كى ترحل .. أنا من سيواجه الوطواط حين يأتى .. وأنا أعرف أنه سيأتى .. »

ـ « لن أسمح لك .. »

ـ « لا أحد يسمح للفزاعة بشىء .. الفزاعة ما يريد حين يريد .. »

وأدركت (عبير) من مكانها أن الصراع الحتمى قادم بين اللصين ، وهو يناسبها تمامًا .. قال العرب قديمًا : « وقد تموت الأفاعى من سموم العقارب » .. بينما تمنى الصينيون أن يروا أسدين يلتهمان بعضهما حتى الذيلين .. كلاهما شرير وكلاهما قاس متوحش .. وكلاهما قوى إلى حد لا يصدق .. ترى ماذا يمكن أن ....؟

فجأة رأت مشهدًا عجيبًا ..

رأت سيد الصقيع ينزع خوذته وثيابه الثقيلة .. رأته يتحرر من قيود الثلج ..

إنه الوطواط ولا أحد سواه ..

الفزاعة ليس أحمق بحيث يصرخ: الوطواط؟ مستحيل! لكنه كان أحمق وصاح :

ـ « الوطواط ؟ مستحيل !! »

قال الوطواط وهو يحرر آخر ساق له من البذلة :

ـ « بل يجب أن تصدق عينيك .. نحن لا نصنع الأوهام مثلك .. »

وطارت ساقه فى وجه اللص المخيف لتلقى به مترين إلى الوراء ، وصاح :

ـ « كانت هذه هى الطريقة الوحيدة لاجتذابك هنا والحصول على اعترافك .. »

ثم وجه له لكمة فى وجهه بلغ من قوتها أن كلمة (طراخ !) ظهرت فى الجو :

ـ « كنت أعرف أنك لن تتحمل أن ينسب أحدهم الفضل لنفسه عن طريقك .. »

ولكمة أخرى من طراز (بوم !) الفتاك :

ـ « إنك كالرجل الذى يسمع نكتة سمعها من قبل ، فلا يتحمل أن يظل صامتًا .. لابد من أن يبدو عليمًا ببواطن الأمور .. »

ثم طار فى وضع أفقى تقريبًا ليدفن رأسه فى بطن الرجل النحيل .

ـ « وكان هذا الشريط الملفق الذى أذاعه التلفزيون هو الطعم الذى .... »

بـــوم !

ـ « سيخرجك من وكرك .. »

طـاخ !

ـ « والآن ترى نقابة المجرمين هذا كله ، وتعرف أن رجل الصقيع كان الوطـواط من البدايـة ، لأن رجل الصقيع مسجون فى ألاسكا وسط الثلوج .. أنا وحدى أعرف هذا .. »

فلام فهام !! هذا صوت صفعات .. تبًا ! إن الوطـواط يضرب بسادية بالغة ولئن لم ينته ليقتلن الرجـل فعلاً ..

ـ « منذ عرفت بموضوع المسابقة أدركت أنك صرت فى قبضتى ! »

آآآآآآ ههههههه !!

هذه كانت من الوطواط الذى تصلب للحظة وبدأ يتراجع ، وهو ينظر إلى الأرض .. كانت أسماك القرش تخرج رءوسها من البحر عازمة علـى افتراسـه ، ولـم يكـن يستطيع إلا التراجع .. لكن ماذا عن التماسيح التى تدنو منه مـن الجانبين ؟ نهض الفزاعة وراح يصلح من شأن ثيابه .. ثم اتجه نحو الوطواط الذى وقف يرتجف كطفل ..

كانت فى يد الفزاعة المغطاة بالقش مديـة لا بـأس بطولها أبدًا ..

هنا وهنا فقط خرجت (عبير) مـن نوبـة الذهول التى كانت تمر بها .. رأت أنها تستطيع أن تساعد الوطواط بشىء ، وأن هذا الشىء سهل بعيد عن الخطر .. بأصابع من حديد هشمت خشب السقف حتى صارت لديها فجوة تسمح بإدخـال ذراعهـا ، وأحكمت التصويب بقذيفـة الباتارانج ، ثم قذفتها ..

اهتز رأس الفزاعة حين ضربته القذيفة من الخلف .. نظر لأعلى ليراها فغمغم فى غير رضا :

ـ « هذا الجبان .. لم .. لم يأت وحده .. »

ثم هوى على الأرض .. والحقيقة أنه لم يبد قط كجوال من القش مثلما بدا فى هذه اللحظة .. بينما عادت القذيفة لتستقر فى يدها ..

وكان الوطواط يستعيد عافيته ببطء ..

* * *

أطلقا سراح الصبى (مارتن) الذى قبل أن يتعاون مع الوطواط فى هذه المهمة ..

ولم ينس الوطواط أن يقف أمام الكاميرا حاملاً الفزاعة المقيد على كتفه .. نظر لأعلى حيث كانت العدسة متوارية بين شقوق الخشب ، ولوح بيده وأرسل قبلة قائلاً :

ـ « قد عدت لكم أيها الجبناء ! أعرف أن الخبر يسعدكم الآن لكنكم ستعرفون سريعًا أنه أسوأ خبر فى التاريخ .. لدينا بطريق وقطة ورجل ألغاز ومضحك .. وكلهم ارتكب جرائم لم يغفرها له المجتمع .. إن لحظة القصاص قادمة يا سادة ! »

سألت (عبير) وهم يغادرون المصنع بينما الوطاويط ترجع لتستقر فى أماكنها فوق روافد الخشب :

ـ « هل حصلت على نسخة من هذا الفيلم ؟ »

قال فى ثقة وهو يتقدمها بقامته الفارعة :

ـ « طبعًا .. إن الكاميرا ترسل صورها إلى نقابة المجرمين وإلى كهفى فى الوقت ذاته .. وقد صار لدى اعتراف كامل من الفزاعة بأنه من قتل (روبين) .. »

ـ « منذ متى فكرت فى الاندساس بينهم ؟ »

ـ « منذ سمعت أننى تشاجرت مع رجل الألغاز .. كان هذا طريفًا .. هنا فكرت فى أنه من الصواب أن أزور نقابة المجرمين لأفضح رجل الألغاز ثم أدبر هذه اللعبة ..

« كان رهانى على أن الفزاعة لن يترك المجد يذهب لسواه بحيلة بسيطة كهذه .. وأعتقد أن هذه كانت حيلته الخاصة ، وأنه حسب رجل الصقيع سلبه إياها .. »

« هكذا عاد .. هكذا اعترف أمام العدسات .. هكذا ظفرت به .. »

ثم ابتسم وقال فى رصانة :

ـ « يجب الاعتراف أن الفزاعة ـ بشكل ما ـ هو الذى يكسب المسابقة ، وهو الذى أخرجنى من عزلتى »

وفتح لهم باب السيارة الواقفة بين الأشجار فـألقى حمله ثم جلس وراء المقود ودعاها إلى الدخول ..

نظرت لساعتها فى الظلام وقالت فى توتر :

ـ « يجب أن تمر على رابطة العدل لتخبرهم أنك عدت .. إنهم سيفصلونك خلال ساعة .. »

ـ « لا أحد يفصل الوطواط .. إذ على كتفيه وسوبرمان قامت شركة (دى سى كوميكس) .. ثقى أنهم سينتظرون .. »

وانطلقت السيارة بسرعتها المريعة التى تجعلك تشعر بأن الأشجار المجنونة تتسابق على تهشيمك ..

قالت له فى كياسة :

ـ « الآن تعرف حقيقة أن (روبين) قد مات .. »

صمت قليلاً وراح ينظر للطريق .. ومن تحت قناعه المطاطى رأت دمعة ثم قال :

ـ « نعم .. اليوم فقط مات (روبين) ودفنته .. لكن عندى (روبين) آخر سأربيه وأعلمه كيف يقهر الجريمة .. إنه هو الآخر فقد والديه »

ونظر إلى المقعد الخلفى حيث جلس الفتى (مارتن) الممتقع الخائف على الدوام .. وابتسم ..

عادت تسأله :

ـ « ولماذا أبديت كل هذا الذعر حين رأيت الشريط فى التلفزيون برغم أنك من صنعه ؟ كنت وقتها فى شخصية (بروس) ولم يطلب منك أحد أن تتظاهر بالقىء والـ .... »

ثم عضت شفتيها فى ضيق .. بلهاء غبية .. هذه أنت ! كنت وقتها فى شخصية (بيتى) وما كان لك أن تعرفى هذا .. إن هذا الخلط .. لقد أخطأت ..

قال لها باسمًا دون أن ينظر لها :

ـ « لأننى أعرف من البداية من أنت يا صغيرتى .. لا تحسبينى بهذا الغباء .. أردت أن أترك الانطباع للوطواطة لا (بيتى) .. وما أهمية (بيتى) لى ؟ »

فجأة ضغط على الفرملة ، وعوت السيارة ككلب جريح ودارت حول نفسها ..

ـ « من هذا الحمار الذى ....؟ »

لكنها كانت قد رأت الشخص الذى وقف على الطريق فى ثبات أمام سيارة الوطواط المسرعة .. لكن الرجل كان يعرف أنه فى منطقة نفوذه ..

نزل الوطواط من السيارة وهو يعد قبضتيه للضرب ، لكن وجه (المرشد) البارد الهادئ جعله يتوقف ..

ـ « حان الوقت يا (أليس) .. يجب أن نرحل .. »

نفخ الوطواط فى غيظ وهتف :

ـ «لم نكمل كلامنا بعد .. هذه هى أول مرة نتصارح فيها من دون أقنعة .. هى تعرف من أنا وأنا أعرف من هى .. »

ـ «جميل .. جميل .. أنت تعرف من هى وهى تعرف من أنت .. وكلاكما يعرف من أنا .. وقد انتهت هذه المغامرة .. »

ـ « من يدرى ؟ لربما وقعت فى حبها .. »

تثاءب المرشد فى ملل ونظر فى ساعته :

ـ «ليكن .. لتقع فى حبها ولكن خلال خمس دقائق .. فأنا أنتظر حبكما طيلة اليوم .. هيا ! فلتحبها بسرعة ! »

ـ « أنت وقح يا صاحبى .. »

ـ « ربما .. لكنك لن تستطيع ضربى .. »

قالت (عبير) للوطواط وهى تهرع للحاق بالمرشد :

ـ « هو على حق .. حان وقت رحيلى .. لقد اطمأننت عليك .. »

وأشارت إلى السماء :

ـ « ويبدو أن خبر عودتك تسرب سريعًا .. »

كانت إشارة الوطواط ترتسم على سحب (جوتلم سيتى) .. المدينة الغريبة .. المدينة التى تشبه عوالم الكوابيس بمبانيها الشاهقة القوطية ، والغيوم تصطرع فى سمائها مدلهمة كابية تنذر بالويل ، كأنها سماء (الجريكو) الرهيبة ..

★ ★ ★

فى القصة القادمة تلقى (عبير) عبقريًا اسمه (دستويفسكى) ..

هل هذا يكفى لكى نعرف ما سيحدث فى القصة التالية ؟

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

فانتازيا

مغامرات ممتعة من أرض الخيال

الوطواط


د. أحمد خالد توفيق

كان الظلام الدامس يغلف مدينة غريبة .. مدينة تشبه عوالم الكوابيس بمبانيها الشاهقة القوطية، والغيوم تصطرع فى سمائها مدلهمة كابية تنذر بالويل. فلو كانت (عبير) تفهم فى التصوير لذكرها المشهد بلوحات (الجريكو) الرهيبة ..

وعبر السماء انطلق ضوء ما .. انطلق من فوق سطح أحد المبانى الشاهقة، وسقط على السحب فى السماء فانعكست صورة ..

كانت الصورة تمثل وطواطا يفرد جناحيه ..

إن رجال الشرطة أضاءوا الشارة التى تستدعى الوطواط .. لكن حارس الليل المهيب المخيف لن يأتى على الإطلاق .. وهذه هى المشكلة ..

مطابع

الثمن فى مصر ٢٠٠ ج

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

القصة القادمة

عبقرى